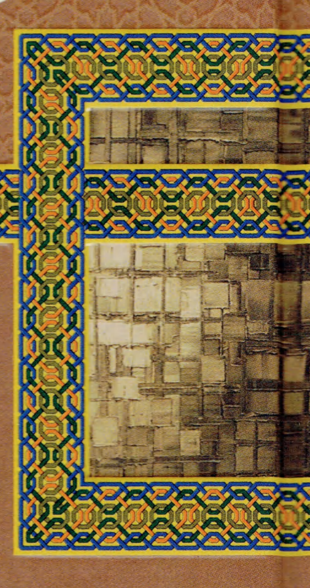
الفرائد

على صحيح القصص النبوي

إعداد: نخبة من طلبة العلم





بإشراف

عبد الرحمن بن محمد السبهان

عضو الدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى

دار الحضارة للنشر والتوزيع

الفرائد

على صحيح القصص النبوي

ⓒ دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشمري، عبدالرحمن بن محمد بن سبهان الوهبي
الفرائد على صحيح القصص النبوي/ عبدالرحمن بن محمد بن سبهان الوهبي الشمري- ط١-الرياض ١٤٤٢هـ
ص ؛ ٠٠×٠٠ سم
ردمك: ٠-٥١-٨٣١٣-٦٠٣-٩٧٨
١- قصص الأنبياء أ- العنوان
ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٤٢/٣٨٥١

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٣٨٥١
ردمك: ٠-٥١-٨٣١٣-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨



الفرائد على صحيح القصص النبوي

إعداد: نخبة من طلبة العلم

بإشراف



عضو الدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية

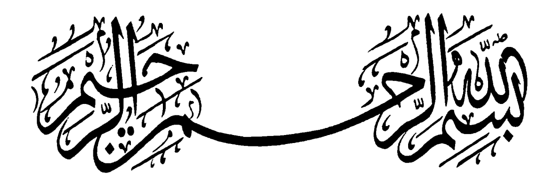
الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م





مؤسسة ثمرة الوقفية


بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله القائل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم: ٣، ٤] وصلاةً وسلاماً دائمیْن تامَّیْن على رسول الهدى، والنبي المجتبى، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين .. أما بعد:

فإن الناظرَ في جهودِ أئمةِ الإسلام عموماً وجهودِ أئمةِ الحديث خصوصاً من عصر الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والأئمة من بعدهم، يجد أن حِفظَ سُنّةِ النبيِّ ﷺ قد تحقَّقَ على أيديهم، وقامَ خيرَ قيام، ليكونَ ذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [سورة الحشر:٧].

وإن هذه الجهود التي لا تخفى على أدنى مُطَّلِعٍ تستدعي مَن بعدهم إلى حِفظِ ألفاظِ السُّنّةِ النبويّة والتفقّهِ في معانيها، ثم العمل بمقتضاها، وهذا هو المقصودُ الأعظمُ من ذلك كلّه.

وقد تنوّعتْ تصانيفُ أئمة الإسلام التي جمعتْ أحاديثَ السُّنّة ما بين مُطوَّل ومختصَر، وما كان في بابٍ معيّن أو موضوعٍ معيّن، فكان ذلك تسهيلاً للقارئ، وتقريباً للمعاني، ومن ذلك كتبُ (الأربعينيّات) المشهورة، وكُتبُ (أحاديث الأحكام) و (الشمائل) وغيرها، ولمّا كان كثيرٌ من هذه الكُتُب يحتاج مَن يتأمّل أحاديثَها،

ويستخرج كنوزَها ولطائفَها بشكلٍ فوائد مختصرةٍ مرتّبة، وكان منها هذا الكتاب النافع وهو (صحيح القصص النبوي) لفضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله ورعاه.

فقد سَمَتْ همّةُ مجموعةٍ من طلاّب العلم لكتابة فوائد وتعليقات على أحاديث هذا الكتاب، بعد إنجازِ عددٍ من الكُتُبِ بنفس الفكرة، ومنها (عقود الجمان على اللؤلؤ والمرجان) و (مداد الأقلام على عمدة الأحكام) و (الفوائد على بلوغ المرام) و (الفوائد على الأربعين القرآنيّة)، وستخرُج تباعاً بإذن الله.

وبين يديك أخي القارئ الكريم كتاب (الفرائد على صحيح القصص النبوي) كتَبَ فوائده عددٌ من طلاب العلم وهم: د. سعود بن دبيجان الشمري، و د. شلاش بن مقبل الضبعان، و د. سعد بن دبيجان الشمري، ود. عقيل بن سالم الشمري، والشيخ رضا بن مضحي الشمري، والشيخ حسين بن محمد الشمري، بإشراف الشيخ عبدالرحمن بن محمد السبهان ، والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كما نفعَ بأصله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه عبدالرحمن بن محمد السبهان

عضو الدعوة والإرشاد بوزارة الشؤون الإسلامية

١٤٤٢/٣/٧هـ

الْقِصَّةُ الْأُولَى:

الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ سُدَّ عَلَيْهِمُ الْغَارُ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵄ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ

نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ، مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»(١).

غَرِيبُ الْحَدِيثِ:

١. أغبق: أي لا أقدّم في الشرب قبلهما أهلاً ولا مالاً من رقيق وخادم، والغَبوق: شُرب العشيّ.

٢. فلم أُرِح عليهما: أي لم أرجع.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٢٧٢)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٤٣).

٣. بَرَقَ الفجر: أي ظهر نورُه.

٤. يتضاغون: أي يصيحون من الجوع.

٥. فأردتها على نفسها: بمعنى راودتها، أي: طلبت منها ما يطلب الرجل من امرأته.

٦. ألّمت بها سنة: أي نزلت بها فاقة وفقر وحاجة.

٧. لا تفضّ الخاتم: كناية عن الفرج وعذرة البكارة، أي لا تُزِلْ عَفافي إلا بالزواج.

الْفَوَائِدُ:

١. الله سبحانه وتعالى يبتلي عبده ليستخرج منه عبودياتٍ تناسب حالَه وتعود عليه بالنفع، فابتلى هَؤُلاءِ الثلاثة واستخرج منهم عبودية الإخلاص والضراعة والافتقار إلى الله سبحانه وتعالى، ففي ابتلاء المؤمن خير.

٢. من بركة الأعمال الخالصة أن أثرَها يتعدّى مَن قام بها إلى غيره، ويتعدّى كَذَلِكَ الزمن الذي وقعتْ فيه إلى أزمان أخرى كما في هَذِهِ القصة، فلا زال الناس يقتدون بهم مع تفاوت أزمانهم.

٣. استجابة الله عز وجل لَمَن سأله بعمله الصالح الخالص هو

من عاجل بشرى المؤمن، وما ادّخره الله عز وجل لعباده المخلصين خير وأبقى.

٤. في الحديث بيان لفضل الصحبة الصالحة، وبيان لأثرها في الدنيا والآخرة.

٥. دلّ الحديث على أن أثَرَ بعض الأعمال الصالحة قد يتأخّر إلى وقتٍ يكون الإنسان فيه أحوج ما يكون إلى فرج الله، فهَؤُلاءِ الثلاثة عملوا الأعمال الصالحة وتأخر جزاء الله لهم إلى اللحظة الَّتي كانوا فيها أحوج ما يكونون إلى فرج الله.

٦. دلّ الحديثُ على علوّ مقام هَذِهِ الأعمال الثلاثة الزاكية: بر الوالدين، العفة عن الشهوات، وأداء الأمانة، وهي فرعٌ عن أعمال قلبيّة أخرى، فبرّ الوالدين فرعٌ عن لين القلب ورحمته ورأفته وبرّه، والعفة عن الشهوات دليلٌ على سلامته من أمراض القلوب، وأداء الأمانة دليل على رعايته وصيانته لقلبه عن الأمراض.

٧. دل الحديثُ على جواز التوسّل بالأعمال الصالحة وأنه من التوسّل المشروع.

٨. الخيطُ الناظِمُ للمواقف الثلاثة هو الإخلاص لله في الإحسان

للناس، فمَن أحسن للناس أحسن الله إليه، والجزاء من جنس العمل.

٩. الأعمال الصالحة الخالصة أشرفُ وأجلُّ من الأسماء والأنساب، فهَؤُلاءِ النفر عُرِف عملهم ولم تُعرف أنسابهم ولا أسماؤهم.

١٠. في الحديث فضل العلم بالله ومعرفة أسمائه وصفاته ؛ فإن عِلمَهم بالله ومعرفتَهم به سبحانه هو الذي دلّهم على ما ينجيهم.

١١. القصص من الأساليب النبوية في الدعوة والتعليم والوعظ ؛ لذلك حَريٌّ بالدعاة والمربّين أن يعملوا بهذا الأسلوب النبوي.

١٢. ينتقي الله لنا في الكتاب والسنة من قصص الأمم السابقة ما تحتاجه هَذِهِ الأمة في دينها ودنياها.

١٣. البلايا والمصائب الجماعيّة لا تُرفَع إلا بأعمال صالحة خالصة جماعيّة، فهَؤُلاءِ النفر لم تكن نجاتُهم بعملِ واحدٍ منهم حتى عملوا جميعاً.

١٤. النفر الثلاثة واجَهوا صخرةً حسّيّة، وفي حياةِ كلٍّ واحدٍ منّا

صخرةٌ معنويّةٌ أو أكثر من همٍّ أو غمٍّ أو ديْن، تنجلي عنه ويزيحها الله عنه بالتوسّل إليه بأعماله الصالحة.

١٥. بركة الرفقة الصالحة في حياة الإنسان، فهَؤُلاءِ الثلاثة كل واحد منهم وجدَ عملاً صالحاً يتوسّل به إلى الله ليشارك في إزالة هَذِهِ الصخرة، ولو كان أحدُهم مُنفرِداً أو كان في رفقةٍ غيرِ صالحةٍ لم تنجلِ الصخرةُ عنهم.

١٦. هذه القصة ومثيلاتها من دلائل النبوة، فما كان للنبي ﷺ أن يعرف هَذَا الحديث الذي جرى بينهم في الغار لولا الوحي.

١٧. دلّ الحديثُ على أن البرّ يأتي بالبرّ، لم يكن برُّ الرجلِ لوالديْه هي تلك الليلة التي فعلَ فيها ما فعلَ مع والديْه، إنما كان طوال عمره كما جاء في الحديث: «**لا يُقدِّم عليهما أهلا ولا مالا**»، فلمّا ارتاضت نفسُهُ على برِّ الوالديْن وانقادتْ نفسُهُ للبرّ رزقَهُ اللهُ بعد ذلك برَّ تلك الليلة الَّتي أصبحت فرَجاً له في الكربات وتُروى للأمم من بعده.

١٨. الحديث فيه توجيه للدعاة والمربّين والناصحين ألا ييأسوا من توجيه القلوب، وأن القلوب مهما ابتعدت عن الله فلديْها فرصة أن تعود إليه، رجلٌ تعلَّقَ بامرأة وتمكَّنَ منها واختلى بها وكان قادراً عليها ولها حاجة عنده وهي ضعيفةٌ ولم يرحمْ ذلَّها وضعفَها وفقرَها، فلما قالت له: اتق الله، أحيى اللهُ قلبَه.

١٩. دل الحديث على أن القلب الحي هو الذي إذا تمكن من المعصية ثم ذُكِّر بالله تذكر وأناب وتاب إلى الله، لما تمكَّن الرجل من المرأة ثم قالت له: اتق الله، قام عنها وتركها لله.

٢٠. المرأةُ حفظتْ فرجَها في الرخاء، فلما اضطُرَّتْ واحتاجتْ حفِظَها الله سبحانه وتعالى، وكما في الحديث «**احفظ الله يحفظك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**».

٢١. الحديث فيه بيانٌ لخطرِ مرضِ التعلّق بالشهوات خاصة بالنساء، فالرجلُ كان يحبُّ المرأةَ كأشدّ ما يحبُّ الرجالُ النساءَ، وبعد سنوات لما ألَمَّت بها الحاجة رجع يرادوها عن نفسِها مما يدلّ على أن ذَلِكَ المرض باقٍ في قلبه، فالتعلّق بالشهواتِ إذا دخلَ في القلب تغلغلَ فيه، وعلاجه: " اتق الله ".

٢٢. دلَّ الحديثُ على أن للتوبة الصادقة علامات يُبَرْهِنُ بها الإنسانُ صدقَ توبتِهِ مع الله، فالرجل ترك المرأة وقام عنها وترك لها الذهبَ ابتغاءَ الأجر من الله.

٢٣. الحديث دليلٌ على تعدّد شُعَبِ الإيمان، فكلُّ عملٍ تعملُهُ خالصاً لله هو بوابةٌ تدخل منها إلى الله، الرجل الأول كان بارّاً بوالديْه، والثاني كان عفيفاً، والثالث كان أمينًا، تنوّعت الأعمالُ وكلُّهم وصَلوا إلى الله لَمّا كانت أعمالُهم خالصة.

٢٤. الحديث دليلٌ على أن الله يبتلي عبدَه ليعلم صدقَه وإيمانَه وإخلاصَه، فالرجل الأول ابتُليَ بأطفاله عند قدمِهِ يتضاغوْن جوعاً، وكان له مبرِّرٌ أن يسقيَهم قبل والديْه إذ الوالدان نائمان، والرجلُ الأمين ابتُليَ بأن الله نمَّى عنده المالَ المؤتمَن عليه حتى أصبح إبلاً وغنماً وبقراً ورقيقاً، وكان له مبرِّرٌ أن يحفظه ولا ينمِّيَه، لكِنّ أراد الله أن يتمّ لهم الأجرَ وأن يرفعَ الله لهم الذكر.

٢٥. في الحديث توجيهٌ للمصلحين بإخبارهم بأسباب هَذِهِ الذنوب، والبيئة المساعدة عليها حتى يحذروها ويقطعوا أسبابها، فالزنا من أسبابه فقر النساء وحاجتهن، والانشغال بالذريّةِ سببٌ في عقوق الوالدين وإهمالهم، وإغراء المال وغياب الرقيب سببٌ في خيانة الأمانة.

٢٦. في الحديث بيانُ عِظَمِ خطرِ هَذِهِ الذنوب الثلاثة: الزنا وخيانة الأمانة وعقوق الوالدين، يدلّ على ذلك أن السلامةَ منها كانت عملاً صالحاً عظيماً.

٢٧. "اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ" كلمة ردَّدَها الثلاثة، وتدلّ على عدم جزمِهم بقبول أعمالهم وإخلاصها لله، وهذه حالُ المؤمن يُكثِرُ من العمل الصالح ويخشى أنه لا يقبل منه، وقد

فسَّر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾[1] أنه مَن يُكثِرُ من العمل الصالح ويخشى أنه لا يُقبَل منه، وهذه هي حالُ الثلاثة.

٢٨. دلَّ الحديثُ على أن الدعاء سببٌ من أسباب تفريج الكُرُبات، وأن الله سبحانه وتعالى إنما يقدِّر على العبد ما يقدِّره ليسمع التجاءه بكلمة: "اللَّهُمَّ" ولهذا تكرَّرتْ عند هَؤُلاءِ الثلاثة.

٢٩. هَؤُلاءِ النفر كانوا قادرين على فعل المعصية، بل تهيَّأت لهم وسِيقَتْ لهم فترَكوها لله، فعوَّضَهم الله خيراً منها، فـ«**من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه**».



(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠

الْقِصَّةُ الثَّانِيَةُ:

الرَّجُلُ الَّذِي قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[1].

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٧٠)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٦٦).

الْفَوَائِدُ:

١. دلَّ الحديثُ على إمكانِ فرصةِ التوبة ولو أدمنَتْ النفسُ الذنبَ، فالرجلُ تاب بعدما أدمنَ القتل وقتلَ مئة.

٢. دلَّ الحديثُ على أن للقلب إقبالاً كما أن للبدَنِ إقبالاً، وأعلى مقامات التوبة أن يجتمع إقبالُ القلبِ والبدنِ على الله، كحالِ هذا الرجل.

٣. دلَّ الحديثُ على أهمية المبادرة بالأعمال الصالحة فالموت يأتي فجأة، قال في الحديث: «**فانطلق**»، والفاء تدلُّ على التعقيبِ وسرعةِ العمل.

٤. في الحديث دلالةٌ على التربية على تأنيب الضمير، وأن يبقى الضمير حيّاً يؤنّب صاحبَه حال المعصية، قال في الحديث: «**فسأل عن أعلم أهل الأرض**»، فنسَبَ السؤالَ إلى الرجل نفسه، فتوبتُهُ لم تأتِ نتيجةً لذكرى، إنما لتأنيبِ ضميرِهِ.

٥. اختيارُ المُشيرِ الأمين المتخصِّصِ ركنٌ مهمٌّ في نجاح الاستشارة، وهذا التائبُ لم يُوفَّقْ في بادئ الأمر في اختيار المُشير الأمين المتخصِّص، فكانت العواقبُ أن دُلَّ على راهبٍ لا يُحسِنُ

الفتوى وليس أهلاً لها، فكانت العواقبُ وخيمةً وزيادةً في الآثام.

٦. في الحديث بيانٌ لخطورةِ الجهل وشؤمِهِ وضررِهِ على الناس، فهذا الذي أفتى بجهلٍ قُتِلَ.

٧. في الحديث بيانٌ لأهميةِ أن يطرحَ المستشارُ أو المفتِي رأيَه بقوةٍ وبلا تردُّدٍ، قال: «**نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟**».

٨. في الحديث بيانٌ للتحذير من الأرض التي يُعصى الله فيها والمجتمعاتِ التي تكون فيها المعاصي منتشرةً، وذلك في قوله: «**ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء**»، وهذا يدلُّ على أن الإنسانَ الذي يذهبُ إلى الأراضي التي تُعلَنُ فيها المعاصي إنما خاطرَ بإيمانِهِ وقلبِهِ.

٩. في قوله: «**ولا ترجع إلى أرضك**»، أمرَهُ العالِمُ بتركِ أرضِهِ التي يُنسَبُ إليها بسببِ المولدِ والنشأة، لأن العبرةَ بطاعةِ اللهِ وعبادتهِ لا بالنشأة الأولى.

١٠. في الحديث دليلٌ على أثر البيئةِ على صلاحِ الإنسان وفساده، فبعضُ البيئاتِ مُعِينةٌ على الطاعة، وبعضُ البيئاتِ مُعِينةٌ على المعصية.

١١. دلَّ الحديثُ على معرفةِ العالِمِ بأحوال المجتمعات والبلدان من حيث الصلاحِ وعدمِ الصلاح، فالعالِمُ قال كما في الحديث: «انطلق إلى أرض كذا وكذا» فسمّاها، فهو يعرِفُ المجتمعاتِ الصالحةَ من غيرها.

١٢. في الحديث دليلٌ على أن العلماءَ من شأنِهم أن يُراعوا أحوالَ الناس وأن يرغِّبوهم وأن يستجلبوهم إلى الخير ويدفعوهم إليه، وأن غيرَهم ربّما أشارَ على الناس بآراء لا توافِقُ ذلك، بل ربّما تكون ضرراً عليهم، فعلى الإنسان أن يتخيّرَ أو يسألَ في أموره الشرعيّةِ العالِمَ فقط.

١٣. في الحديث دليلٌ على مشروعية طمأنة التائب، وترغيبه بالنصوص التي ترغِّبُهُ في التوبة وتزيده من العبادة، فقد قال ذلك العالِمُ: «ومن يحول بينك وبين التوبة»، وهذا دليلٌ على مشروعيّةِ ذلك، وأن التائبَ يجب أن يُعامَلَ معاملةً خاصةً من حيث الترغيب.

١٤. في قوله: «فإنها أرض سوء» توجيهٌ للمفتي والناصح أن يُسَبِّبَ ويُعلِّلَ بعضَ فتاويه ونصائحه، حتى تكونَ أكثرَ إقناعاً للسامع.

١٥. في قوله: «ومن يحول بينك وبين التوبة» استفهامٌ عظيمٌ يبيِّنُ

عظيمَ رحمةِ الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يُمكِنُ لأحدٍ من البشر عالِماً كان أو راهباً أو غيرَ ذلك أن يحولَ بين إنسانٍ وبين التوبة، ويتبيّن هذا بالمقارنةِ مع الأديان الأخرى التي تشترط الواسطةَ بين الله وبين خلقه.

١٦. في الحديث أهميةُ أعمال القلوب، فإن الرجلَ جاء تائباً مُقبِلاً بقلبِهِ.

١٧. في الحديث أهميّةُ القُرْبِ من ديار الصالحين، فإن فَرْقَ أمتارٍ أنقذَ رجلاً من النار.

١٨. من وسائل الترغيب في فعلِ العبادة أن يكون الإنسانُ مع العابدين، ولهذا قال في الحديث: «**اعبد الله معهم**» ولم يقلْ مثلَهم.

١٩. في الحديث بيانٌ أن من أعظم علامات التوبة الإقبالَ على الطاعات، ومجالسةَ الصالحين والعبادةَ معهم، ولذلك قالت الملائكة: «**إنه جاء تائبًا**»، ولم يكتَفوا بذلك، بل قالوا: «**جاء تائبًا مقبلا إلى الله تعالى**» فإقبالُهُ من أعظم صفاتِ توبتِهِ.

٢٠. الحديث دليلٌ على عظيمِ قدْرِ التوبة إلى الله من الذنوب وعظيم فضلها، بحيث إن الإنسانَ لو لم يكنْ له عمرٌ بعدَها ومات

تائباً ولم يعملْ أيَّ عملٍ صالح فإن ذلك يؤهِّلُهُ لرحمةِ الله، ولذلك قالت ملائكة العذاب: «**إنه لم يعمل خيرًا قط**»، يعني: ليس عنده عمل صالح، وقالت ملائكة الرحمة: «**إنه جاء تائبًا مقبلا**»، فتوبتُهُ وإقبالُهُ عملٌ صالحٌ أهَّله لرحمة الله، حيث لم يكن له عُمْر يعمل بطاعة الله.

٢١. في الحديث بيانٌ أن العبادة مع الناس تقوّي قلبَ المؤمن وتثبّته، ولذلك أمره بقوله: «**فاعبد الله معهم**»، وهذا واضحٌ في أثر تلك العبادة على النفس، فيقوى بها الإيمانُ ويرى الإنسانُ العُبَّادَ فيقتدي بهم.

٢٢. في الحديث بيانٌ لأهمية القصة، بل بيانٌ لأهميّةِ حُسْنِ عَرْضِ القصة ودوْرِهِ في التأثير.

٢٣. في الحديث دليلٌ على أن أصولَ المُحرّمات وأصولَ الواجبات من الدين المشترك بين الأنبياء، فتحريمُ قتلِ النفس والتوبةُ من الدين المِلِّيّ، الدين الجامع الذي أنزله الله على جميع أنبيائه.

٢٤. في الحديث دليلٌ على أن الأعمالَ بالخواتيم.

٢٥. في الحديث دليلٌ على أن التائبَ حبيبٌ عند الله سبحانه

وتعالى وله منزلة عنده، فقد أنزل الله من أجله ملائكةً يختصمون، وأنزل اللهُ ملَكاً يحكم بينهم، وإذا جمعْنا رواياتِ الحديث فإنا نجدُ في بعض الروايات: «**أن الله سبحانه وتعالى قال للأرض تلك: اقتربي، وقال للأرض تلك: ابتعدي**»، فسخَّرَ اللهُ من أجله الأرض، وفي روايات الحديث أنه كان مقبلاً بصدرِهِ، وفي رواية أخرى أيضًا: «**أنه كان أقرب إلى الأرض التي ذهب إليها بشبر واحد**»، فهذا كلُّهُ يدلّ على أن الله يحبُّ التائبين ويغيِّرُ من أجلهم شيئًا من المخلوقات حتى يَقبَلهم.

٢٦. في الحديث دليلٌ على أن الملائكة خلقٌ من خلق الله وعبادٌ من عباده، لا يعلمون إلا ما علَّمَهم الله سبحانه وتعالى، ويدلُّ على ذلك اختلافُهم وجهلُهم بمآلِ العبد.

٢٧. في الحديث دليلٌ على أن الملائكة قد تتصوَّرُ بصُوَرِ الآدميّين وتأتي على هيئاتِهم.

٢٨. في الحديث دليلٌ على ركنٍ عظيم من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالملائكة، وبيان شيءٍ من أعمالهم وما كلّفهم الله به.

٢٩. في الحديث دليلٌ على أن موازينَ البشر ليست كموازين الشرع، وأن معاملةَ الناس للمذنبين ليست كمعاملةِ الله لهم إذا تابوا

وأنابوا، هذا الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفسًا ثم أكمل المئة يُعَدُّ عند الناس سفّاحاً وربّما منبوذاً، لكنّه عند الله حبيبٌ ورفيعُ القدْرِ بتوبتهِ، قَبِلَه الله سبحانه وتعالى وتجاوَز عنه.

٣٠. في الحديث دليلٌ على تحريمِ اليأسِ من روْح الله، ووجوب حُسْنِ الظن بالله، وأن حُسْنَ ظنّ العبدِ بربّه كان سبباً في نجاتِهِ وسعيِهِ للتوبة.

٣١. في الحديث دليلٌ على سعةِ رحمة الله التي وسعتْ هذا الرجل الذي قتل مئة نفس.

٣٢. في الحديث دليلٌ على عظمِ إثمِ قاتلِ النفس، ووجه ذلك أن الحديثَ أتى لبيانِ سعةِ رحمة الله عز وجل التي وسِعتْ هذا القاتل.

٣٣. في الحديث ردٌّ على مَن يقول: إن للقصة والرواية أن تصوِّرَ المجتمعَ بأدوائه، فيذكرُ فاحشَ القول وسيءَ الأخلاق، فلقد نقلَ رسول الله ﷺ قصةً لقاتل، ومع ذلك فقد كانت كلُّ الأحداث والكلمات مناسبة، بل راقية، وكذلك لم يفصِّلْ في كيفيةِ قتلِهِ لأن ذلك ليس هو المقصود من القصة، وهكذا ينبغي في القصص أن لا يُفَصَّلَ في السُّوءِ إن ذُكرَ بل يُذكَرُ باختصار.

٣٤. في الحديث مراعاةُ حالِ المستفتي، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ عندما كان يُسألُ عن أفضل العمل.

٣٥. في قوله: «فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد»، أن إرادةَ الخير عملٌ صالح، وعملٌ قلبيٌّ عظيمٌ يؤجَرُ عليه العبدُ.

***

القِصَّةُ الثَّالِثَةُ:

السَّاحِرُ وَالْغُلَامُ وَالرَّاهِبُ وَالْمَلِكُ

عَنْ صُهَيْبٍ الرُّومِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا

أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِالله دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِالله فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضَعَ المِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ المَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ المِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَ شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَ شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ

فَغرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»(١).

غَرِيبُ الْحَدِيثِ:

١. الأكمه: الذي ولد أعمى.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٣٠٠٥).

٢. مفرق رأسه: أي وسطه.

٣. ذروة الجبل: أعلاه.

٤. الجذع: هو العود من أعواد النخل.

٥. كنانتي: بيت السهام.

٦. كبد القوس: وسطه.

٧. خدت: أي شقت.

٨. أقحموه فيها: أي ألقوه فيها.

٩. القرقور: نوع من السفن.

١٠. الصعيد هنا هي: الأرض البارزة.

١١. أضرم: أي أوقد.

١٢. انكفأت: أي انقلبت.

١٣. تقاعست: أي توقفت وجَبُنت.

الْفَوَائِدُ:

١. قولُهُ في الحديث: «**وسمع كلامه فأعجبه**»، دليلٌ على أن القلوبَ تحبّ الحقَّ بفِطرتها، وأن الحقَّ يُوافِقُ القلبَ السليم، وأن

القلب السليم إذا سمع الوحيَ وكلامَ الله تعلّقَ به فأحبَّه وأُعجِب به.

٢. فيه الذكاء وحُسن الرأي وحصافته في طلب العلم والدين، قال الراهب: «**إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر**».

٣. دلَّ الحديثُ على الاعتراف بفضائل الآخرين وما امتازوا به، قال الراهب: «**أنت اليوم أفضل مني**».

٤. قولُ الراهب: «**إنك اليوم أفضل مني وإنك ستبتلى**»، وتأكيدُه ذلك بحرف التوكيد (**إنك**) تدلُّ على سُنّة الله: يُبتلى الرجلُ على قدْرِ دينه، فلما ظهرَ دِينُ الغلام للراهب أكَّدَ له قضيّةَ الابتلاء.

٥. دلَّ الحديثُ على أن مَن يُخالِط الناسَ ويصبر على أذاهم خيرٌ ممّن لا يُخالِطهم ولا يصبر على أذاهم، فالغلام أفضل من الراهب.

٦. يؤكّد الحديثُ معنى: «**رُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه**»، فالراهب عَلَّم الغلامَ فأصبح الغلامُ أفقهَ منه وأفضلَ.

٧. في قول الراهب للغلام: «**قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى**»، دليلٌ على أن كل أولياء الله لا بدّ لهم من البلاء، قد كتب الله

ذلك على الأنبياء، وقد قال النبي ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء فالأمثل فالأمثل**»، وهذا يدلُّ على أن الإنسان الذي يُبتلى إنما أراد الله رِفعتَهُ، وكما جاء في آخر هذا الحديث، فقد بلغ هذا الغلامُ مبلغاً عظيماً، وكان أولَ أمرِهِ الابتلاء.

٨. دلَّ الحديثُ على ربطِ قلوبِ الناس بالله، ولو أجرى اللهُ على يديْك نفعاً إنما تنسِبُهُ إلى الله، قال الغلام: «**إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله**».

٩. قولُ الغلام: «**إني لا أشفي أحدًا**»، لمّا قال له الرجل: أجمَعُ لك ما هاهنا إن أنت شفيتَني فيه تنبيهٌ على خطورة هذه الكلمة، وهذا من أدبِ الألفاظ وهو من كمال التوحيد أن يقول الإنسان: إنما يشفي الله ولا ينسِبُ الشفاءَ لأحد، وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾[1] فمن الخطأ أن تُنسَبَ هذه الأفعالُ إلى العباد، حتى وإن كان قَصْد الإنسان أنه سبب، بل يُنهى عنها.

١٠. فيه دلالةٌ على استعمال ما أعطاك الله من مِيزاتٍ في الدعوة إلى الله، فقد كان الغلامُ يقول للإنسان: «**إن آمنتَ دعوتُ لك فشفاك الله**».

---

(١) سورة الشعراء: ٨٠.

١١. الحديث دليلٌ على أن كلَّ أحدٍ يُتوقَّعُ إسلامُهُ، أسلَمَ جليسُ الملكِ الذي يُجالِسُهُ ويسمعُ كلامَه ويقرِّرُ ما يقرِّرُهُ، وقبل ذلك أسلمتْ امرأةُ فرعون وزيرُ فرعون، وهذا من خصائص الإسلام، أنه لا يحول بينه وبين الإنسان شيءٌ، وهو مما يُرهِبُ اللهُ به أعداءَ الإسلام.

١٢. فيه رحمةُ الله بخلقه، إذ يُجرِي على بعض عباده ما فيه نفعٌ لعباده، كان الغلامُ يُبرئ الأكمهَ والأبرصَ والأعمى بإذن الله، وهذا من رحمة الله بالعباد.

١٣. كان السّحَرَةُ وما زالوا أعداءَ الأنبياء وأعداءَ أتباعِ الأنبياء، لأنهم يُزيِّنون الباطلَ ويُزيِّفون الحق.

١٤. الحديث تطبيقٌ لقول النبي ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»، فهذا الغلامُ قد حرِصَ الملِكُ على قتله ودبَّرَ له كلَّ الوسائل والسّبل إلى أن يقتله، وهو عدوٌّ لهم، ومع ذلك ما استطاعوا قتلَه إلا حينما أراد اللهُ ذلك بالسبب الذي يريده هو سبحانه لحكمةٍ يعلمها، فقد يُوجَد السببُ ولا يقعُ المكروهُ لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد ذلك.

١٥. الحديث دليلٌ على أن الإيمان يصنعُ في النفوس اليقين،

ويصنع فيهم الزهدَ في هذه الحياة الدنيا والرغبة إلى الله ويغيّر من نظرتهم لهذه الحياة، فهذه الأمُّ التي تقاعستْ، وأولئك الذين نُشِروا بالمناشير، لم يمضِ على إيمانهم إلا ساعات أو أيام قليلة، ومع ذلك زهدوا في هذه الحياة الدنيا ورغِبوا في لقاء الله واستلذّوا الموتَ في سبيل الله.

١٦. الحديث دليلٌ على أن الله يهيّئ لدينهِ بين الفينةِ والأخرى مَن يعلي منارَ هذا الدين وينشرُ الإسلامَ في الأرض، كما هيّأ هذا الغلامَ ليكونَ سبباً في إسلام قومِهِ جميعاً، وهذا من أعظم صورِ نصرِ الله لدينه.

١٧. في الحديث دليلٌ على ضَعفِ الظالمين والجبّارين والمتكبرين، وأن الله سبحانه وتعالى يُظهِرُ عجزَهم وضعفَهم لعباده، فهذا الملِكُ الجبّارُ لم يستطعْ أن يقتلَ الغلام لشدةِ عجزِهِ عن ذلك، وفي هذا آيةٌ عظيمة.

١٨. نفوسُ النشأ قابلةٌ للدّعَوات، والمنافسة بين أهل الحق وأهل الباطل في استمالتِهم والتأثير عليهم قديمةٌ جداً وما زالت، ولذلك حريٌّ بطلاّبِ العلمِ والدعاةِ والمربّين العناية بهم والقرب منهم.

١٩. في الحديث تأكيدٌ لقاعدة إداريّة تقول: المصلحةُ العامّةُ مقدَّمةٌ على المصالح الشخصيّة، فهذا الغلامُ ضحّى بحياته من أجل المصلحة العامة.

٢٠. في الحديث فضلُ الثبات على الحق والأخذ بالعزائم، خاصةً من الذين يُقتدى بهم.

٢١. حسنُ العاقبة للمصلحين، بأن يجعل الله ما اعتراهم من بلاءٍ وتضييقٍ وتعذيبٍ سبباً لانتشار دعوتهم بين الناس.

٢٢. كلُّ مؤمنٍ ومُخلصٍ ومُوحّدٍ في التاريخ هو امتدادٌ لهذه الأمة الضاربة في أعماق التاريخ، ولذلك ذكرَ الله لنا أخبارَهم وقصصَهم.

٢٣. مكرُ الله بالظالمين بأن يجعلَ تدبيرَهم تدميراً عليهم، فاستمرارُ الملِكِ بالظلم والقتلِ قتلِ الراهبِ والجليس ثم الغلام كان سببَ انتشارِ الدعوةِ لجميع الناس.

٢٤. من نصرةِ الله لدينه وتوفيقه لهذا الغلام أن قال الغلامُ للملك: «**إنك لن تستطيع قتلي حتى تجمع الناس وتقول قبل رمي السهم: باسم الله رب الغلام**» ثم فعل الملِكُ هذا وآمَن الناس بالله وكفَروا بالملك، وفي هذا دليلٌ على أن الباطلَ إذا انتشَرَ فإن الناسَ

بحاجةٍ لإقامةِ الحُجّةِ الباهرةِ التي تدحضُ الباطلَ وتردّهم إلى الإيمان بالله.

٢٥. هذا الغلامُ ليس بنبيٍّ ولا يوحَى إليه من السماء، ومع ذلك قام بمقامٍ لا يقومُهُ إلا الأنبياء وساداتُ أتباع الأنبياء، فأجرى الله على يديْه خيراً كثيراً، فعلى المسلم أن لا يحقِرَ عملَه ولا يحقِرَ نفسَه.

٢٦. الحديث تطبيقٌ للمنهج القرآني والمنهج النبوي، وهو ضرب الأمثال والقصص لتقريب المعاني في الأذهان وتصويرها للناس، فهذه القصة الطويلة فيها من المعاني العظيمة التي ساقها النبي ﷺ في هذا السّردِ الجميلِ وحُسنِ السّبْكِ، وكما قال النبي ﷺ: «**أعطيت جوامع الكلم**»، فلو أن أحدًا أراد أن يقصَّ مثل هذه القصة لكانت أطولَ من ذلك بكثير.

٢٧. يذكر اللهُ لنا في الكتابِ والسُّنّةِ من قَصصِ الأمم السابقة ما تحتاجه هذه الأمة في دينها ودنياها.



الْقِصَّةُ الرَّابِعَةُ:
النَّبِيُّ الَّذِي خَاطَبَ الشَّمْسَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلَادَهَا، فَغَزَا، فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ فَجَاءَتْ -يَعْنِي النَّارَ- لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَنَا الْغَنَائِمَ، رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا، فَأَحَلَّهَا لَنَا»[1].

غَرِيبُ الْحَدِيثِ:

١. بُضع المرأة: هو فرجها، وهو كناية عن النكاح.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣١٢٤)، ومسلم في صحيحه برقم (١٧٤٧).

٢. ولَمَّا يَبْنِ بها: أي لم يَدخل بها.

٣. الغلول: الخيانة في المغنم.

الْفَوَائِدُ:

١. دلَّ الحديثُ على أن المتكلِّمَ عليه أن يذهبَ إلى لُبِّ الكلامِ ومقصودِهِ، وأن يطويَ ما لا فائدةَ في ذِكره، في الحديث قال: «**غزا نبي من الأنبياء**» ولم يعيِّنْ لنا هذا النبيَّ إذ لا فائدةَ لنا في تعيينِهِ.

٢. دلَّ الحديثُ على أن الغزوَ والجهادَ ممّا اتّفقت عليه شرائعُ الأمم، وهذا يدلُّ على أن هذه الأمةَ إنما هي إكمالٌ لِمَسِيرة أمَمٍ قبلّها.

٣. فيه أدبُ النبي ﷺ مع إخوانه الأنبياء حيث قال: «**صلوات الله وسلامه عليهم**» وفي ذلك تربيةٌ للدعاةِ على الأخوّة.

٤. في الحديث بيانٌ لأهميّةِ المُحاسَبةِ وخطورةِ الفساد، وأن غيابَ المُحاسَبةِ واستشراءَ الفسادِ سببٌ من أسباب هزيمة المجتمعات، ولن يفلحَ مجتمعٌ يقدِّرُ فاسديه.

٥. في الحديث دلالةٌ على المُبادرةِ في إنجاز الأعمال، فمَن بنى بامرأةٍ فعليه أن يعجّلَ الزواج، ومَن بنى بيتاً فعليه أن يعجّلَ الفراغ منه ليعملَ على تنقيةِ قلبهِ من الشواغل.

٦. دلَّ الحديثُ على تنقيةِ الذّهن والقلبِ من الشّواغل قبلَ أداء العبادةِ ليُقبِلَ إليها إقبالاً، فلم يأخذْ هذا النبيُّ ﷺ معه رجلاً مشغولاً بغيرِ تلك العبادة.

٧. في الحديث دليلٌ أن العِبرةَ بالكيْفِ لا بالكَمّ، فالنبيُّ تخلّصَ من جمعٍ من الضّعفاءِ بهذا الاشتراطِ لِيقوَى جيشُهُ.

٨. في الحديث دلالةٌ على تقدُّمِ عقدِ النكاحِ قبل الدخول لقوله: «**ملك بضع امرأة ولمَّا يبن بها**» أي: ولمَّا يدخلْ بعدُ.

٩. في الحديث بيانٌ لأهمّيّةِ دوْرِ القبيلةِ والعائلةِ الواحدةِ في بناءِ أفرادِها والتخلّصِ من فاسديها، ولذلك قال النبي: «**فليبايعني من كل قبيلة رجل**».

١٠. في الحديث أهميةُ توحيدِ الاهتمامات، عندما تقرأ سِيَرَ الناجحين تجدْ أنهم تميَّزوا بتحديدِ هدفِهم والسَّيْرِ نحوَهُ بجدٍّ واجتهاد، فهذا النبيُّ عندما غزا لم يأخذْ معه رجلاً مُشتّتاً.

١١. دلَّ الحديثُ على أن القتالَ في سبيل الله لا يقومُ على كثرةِ الأعداد فقط، إنما يقومُ على الصدقِ مع الله ؛ ولهذا استغنى ذلك النبيُّ عن عددٍ من أصناف المقاتلين.

١٢. دلَّ الحديثُ على أن الله له الخَلْقُ والأمرُ، قال ذلك النبيُّ للشمس: «**أنتِ مأمورة وأنا مأمور**» هي مأمورةٌ من الله بأن تغرُبَ وذلك النبيُّ مأمورٌ من الله بأن يغزوَ، فالأولُ هو أمرُ اللهِ في خلقِهِ والآخَرُ هو أمرُ اللهِ في شرعِهِ.

١٣. السُّنَنُ الإلهيّةُ في الأنفسِ والمُجتمَعات أكثرُ مُضِيّاً من السُّنَنِ الكونيّة؛ فالشمسُ وهي سنة كونيّة أوقفَها اللهُ ساعةً من نهارٍ ليُمضِيَ سُنّتَهُ في أوليائه وعباده الصالحين.

١٤. إلى كل مريضٍ ومريضةٍ، وإلى كلّ مبتلى ومُبتلاةٍ: لقد حبسَ اللهُ الشمسَ من أجل عبده الصالح، فتوجَّهْ إلى الله وثِقْ أن اللهَ لن يخذلَكَ سبحانه.

١٥. في الحديث دلالةٌ على الاستعانةِ بالدعاء قبل أداء العبادة، فهذا النبيُّ قال للشمس: «**اللهم احبسها علينا**» وهي لم تغربْ بعدُ، لكنّه أراد تقديمَ هذا الدعاءَ بين يديْ جهادِهِ.

١٦. دلَّ الحديثُ على ما يتحلّى به القائدُ من الثقةِ بالله وبنصرِهِ، فهذا النبيُّ قال للشمس: «**أنتِ مأمورة اللهم احبسها علينا**» ولم يقلْ: اللهمّ انصرْنا عليهم لأنه واثقٌ بنصرِ الله، لكنّه أرادَ أن يقعَ النصرُ في الوقتِ الذي حدَّدَهُ الله.

١٧. في الحديث بيانٌ لقدرةِ الله عز وجل وتدبيره لهذا الكون، لا كما يظنُّ المَلاحِدةُ بأن هذا الكَوْنَ مُكتَفٍ بذاتِهِ ويعملُ بنفسِهِ، فالشمسُ التي سيَّرَها اللهُ بدقّةٍ بالغةٍ حبَسَها بأمرِهِ حينما أراد ذلك سبحانه.

١٨. الحديث دليلٌ على أن المؤمنَ والمجاهدَ خصوصاً إذا بذلَ وُسْعَهُ في العملِ واستفرغَ طاقتّه في ذلك، وعلِمَ الله نيّتَهُ الصادقةَ فيه، وكان هذا العملُ ممّا هو مأمورٌ به شرعاً ثم اعترَضَ له ما اعترَضَ ممّا يعوقُ ذلك العمل فإن الله سبحانه وتعالى ينصرُهُ ويؤيّده ويهيّئ له ما يساعدُه على إتمامِ ذلك العمل، فهذا النبيُّ لمّا ضاق الوقتُ عن إتمامِ جهادِهِ دعا الله سبحانه وتعالى فأخَّرَ الشمسَ حتى تمَّ له عملُهُ.

١٩. في الحديث إثباتُ أن الله عز وجل يؤيّد أنبياءه بالآيات التي هي من أدلةِ نبوّتهم والتي يسمّيها البعضُ (المعجزات)، ومنها في الحديث أن الله حبسَ لهذا النبيّ الشمسَ وكذلك حينما لزقَتْ يدُ صاحبِ الغلول في يدِ النبيّ.

٢٠. الحديث دليلٌ على أن الأمَمَ السابقة كانوا مأمورين بالصلاة، وأن عندهم صلاة فرضها الله عليهم كصلاة العصر مثلا.

٢١. في الحديث دلالةٌ على تفاوُتِ أهل الإيمان في الإيمان فمنهم

المجاهدُ في سبيل الله الذي لم يغلّ ومنهم الغالّ، والله يجزي كلاً بعدلِهِ وفضلِهِ.

٢٢. في الحديث دلالةٌ على أن الأنبياء ﷺ لا يعلمون الغيبَ إلا بما علّمهم الله، فنبيُّ أولئك القوم لم يعلمْ مَن هو الغالُّ حتى بايعتْهُ كلُّ قبيلة.

٢٣. دلَّ الحديثُ على أن تحريمَ الغلولِ ممّا اتفقتْ عليه شرائعُ المِلل، وشرائعُ المِلل اتّفقتْ في أصول الأخلاق ومنها تحريمُ الخيانةِ والغدر.

٢٤. في الحديث دليلٌ على أهميّةِ التحفيز والمكافأة على الأعمال، فهذا الجهادُ وإن كان عملاً صالحاً له جزاءٌ أخرويٌّ إلا أن الله عز وجل جعل له جزاءً دنيويّاً وهو الغنيمة.

٢٥. في الحديث دليلٌ على أن القبيلةَ مكوِّنٌ اجتماعيٌّ مُهِمٌّ قديمٌ وهو باقٍ إلى قيام الساعة، فقد أخبر النبي ﷺ عن بني تميم أنهم أشدّ هذه الأمةِ على الدجال، فعلى الدعاة والمصلحين أن يهتمّوا بهذا المكوّنِ اهتماماً يليقُ بأهميتهِ في التاريخ والمستقبل.

٢٦. في الحديث دليلٌ أن أهلَ العزائم هُم رجالُ الأزَماتِ وهُم

روّاد المَهَمّات، أما أهلُ الرّخَصِ والمشغولون بالدنيا فلا يُطيقون حَمْلَ الصعاب.

٢٧. دلَّ الحديثُ على أن الباطلَ لا يثبُتُ أمامَ الحق، ففي الحديث لم يثبتْ الباطلُ أمامَ الحق إلا نصفاً من نهار.

٢٨. أكلُ النار للغنائم عند تلك الأمَم لئلا تتعلّق قلوبُهم بشيءٍ من دون الله، وهذا يُناسِبُ الشدةَ التي كانوا عليها والآصارَ التي وضَعَها الله عليهم.

٢٩. في الحديث دلالةٌ على أن إتلافَ المال على الوجهِ الذي شرعه اللهُ لا يُعتبر إسرافاً، فالغنائم تُجمَعُ ثم تأكلها النارُ في شريعةِ أولئك القوم وليس ذلك بإسراف، وفي شرعِنا إتلافُ المالِ المحرّمِ لا يُعَدُّ إسرافاً.

٣٠. الابتلاءاتُ فرصةٌ لتنقيةِ الصفّ من الخوَنة والضّعَفة، فهذا النبيُّ نقّى صفَّهُ من الضّعَفة المتعلّقة قلوبُهم بالدنيا، ونقَّى صفَّهُ كذلك من الخَوَنةِ الذين يُؤثرون المالَ على طاعةِ الله عز وجل.

٣١. في صُحبةِ نبيٍّ وفي جهادٍ في سبيل الله مع ذلك وُجِدَ الخَوَنة، وفي سيرة نبيّنا ﷺ وُجِدَ المنافقون في جيشِهِ، فوجودُ الخَوَنة لا يُعطِّلُ

الأعمالَ ولكنَّ تنقيةَ الصفِّ منهم أمرٌ واجب.

٣٢. في الحديث دليلٌ على أهميّةِ اقتضاءِ العلم للعمل، فهذا النبيُّ ﷺ أمرَ قومَه بالقتال ولم يتخلّفْ عنه بل كان في مقدّمتهم.

٣٣. في الحديث بيانٌ أن شؤمَ المعاصي والذنوب يعمّ الجميعَ بفعلِ الأفراد منهم، فهذه النارُ لم تأكلْ الغنائمَ حتى تطهّرَ النفرُ الثلاثةُ وأرجَعوا ما أخَذوا من الغلول.

٣٤. الحديث دليلٌ على أن مجتمعاتِ الأنبياء ومَن يحيطون بالأنبياء ليسوا ملائكة، فقد يقع منهم الخطأُ والخَلَلُ كهذا الذي حدَثَ من هؤلاء الذين غلوا من الغنائم، فليس مجتمعُ الأنبياء ومدعوّيهم وأتباعِهم مُجتمَعاً ملائكيّاً.

٣٥. في الحديث بيانٌ لأهمية هذه الأمة وأنها ليست نتوءًا في التاريخ بل هي امتدادٌ لحضاراتٍ عريقة، ودينُ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم هو امتدادٌ لدين إبراهيم ونوح وموسى وعيسى وغيرهم من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ؛ ولذلك عندما ذكرَ الرسولُ ﷺ قصةَ هذا النبي قال: «**ثم أحل الله لنا الغنائم**» التي تُفِيدُ الترتيب.

٣٦. في الحديث دليلٌ على أن الله عز وجل امتنّ على هذه الأمة

بالتيسير ومن ذلك أنه أحلّ لها الغنائمَ التي كانت محرّمةً على الأمَمِ قبلَها.

٣٧. قوله في آخر الحديث: «**لما رأى ضعفنا وعجزنا**» فيه دلالةٌ على أن الأضعفَ قد يكون الأفضلَ عند الله، فليست القوّةُ دائماً هي مَدارُ الأفضليّة، نحن الأضعفُ بين الأمم ومع هذا نحن الآخِرون والأوّلون يومَ القيامةِ ونحن أفضلُ الأمم.

***

الْقِصَّةُ الْخَامِسَةُ:

الْأَبْرَصُ وَالْأَقْرَعُ وَالْأَعْمَى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا.

فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ -هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ، إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ-، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ

أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»(١).

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٦٤)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٤).

غَرِيبُ الْحُدِيثِ:

١. قذَرني الناسُ: أي تباعدوا عني وكرهوني بسببه.

٢. أتبلغ بها: أي أبلغ بها المنزل الذي أريد.

٣. الناقة العشراء: هي الحامل.

٤. انقطعت بي الحبال: أي الأسباب.

٥. ما أجهدك: أي لا أشق عليك.

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دليلٌ على أن الملائكة قد تتشكّل على صورةِ البشر وهيئاتهم.

٢. نأخذ من هذا الحديث عبرة، وهي أن الإنسان تمرُّ عليه مواقف كثيرة في هذه الحياة هي ابتلاء من الله عز وجل، لينظرَ هل يشكرُ أم يكفرُ ؟!

٣. في الحديث أن تبديلَ حال الإنسان من المرض والفقر إلى العافية والغنى يسيرٌ على الله الذي لا يعجزه شيء، فجديرٌ بالإنسان إذا اعترتْهُ هذه الأدواء أن لا ييأس، ويسأل الله زوالها.

٤. في الحديث دلالةٌ على الطمع بكَرَمِ الله سبحانه وتعالى،

فالأقرع والأعمى والأبرص تمنّوا زوالَ مرضِهم فأعطاهم الله ذلك وزادَهم المالَ.

٥. البرصُ نوعٌ من المرض، ولذلك ينبغي على من أُصيبَ بهذا المرض أن يصبر وأن يحتسب الأجر عند الله، وأن يعلمَ أنه ربّما كفّر عنه هذا البرصُ شيئاً من ذنوبه ما لا يكفّره صومٌ ولا صيامٌ ولا صدقة.

٦. لا بأسَ للمرء أن يدعو ربه أن يُزِيلَ عنه ما قد يستقذِرُهُ الناسُ منه من صفةٍ خَلقية أو خُلقية.

٧. الحديث دليلٌ على أن العَمَى لا يُستقذَر منه، ولهذا لم يقل الأعمى: ويذهب الذي قذَرني الناس.

٨. اللون الحسن والشَعر الحسن ونعمة البصر من كمالاتِ سعادة الإنسان في الدنيا وفي بدنه، ولذلك ينبغي أن يُحمَد الله على هذه النعمة، وأن يُسأل الله كما حَسَّن خَلقه أن يُحسِّن خُلقه كما جاء في الحديث.

٩. في الحديث استحبابُ المسح على المريض والدعاء له بالبركة، كما فعل النبي ﷺ مع السائب بن يزيد وكما في هذا الحديث.

١٠. في قوله: «**أي شيء أحب إليك؟**»، دليلٌ على أن الإنسان يُؤتَى من محبوباته فيُبتَلى بها.

١١. في الحديث أن الإنسان إذا لم يشكرْ نعمةَ الله ويسعَ للمحافظة عليها بالعمل والبذل والعطاء منها، فإنه سيعودُ إلى دائرةِ الشقاء والفشل التي أخرجه الله منها.

١٢. في الحديث أنه مهما ادّعى المُدّعون وكذَّبَ الكاذبون ولَبِسُوا أثوابَ الزور، فإنه سيأتي اليوم الذي يَسقُطون فيه، وقد قال الرسول ﷺ: «**من دعا دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة**».

١٣. في الحديث تأكيدٌ لقاعدةٍ من قواعد النجاح، وهي: كن أنت، كان الأبرصُ والأقرعُ يستطيعان أن يفعلا كما فعل الأعمى، فيذكران كيف تبدّلت حالُهما من حالٍ إلى حالٍ بفضل الله، فينجُوان وتبقى النعمة عليهما.

١٤. في الحديث دليلٌ على أن مِن شكر النعمة نسبتَها للمنعم سبحانه وتعالى.

١٥. الحديث دليل على أن كُفرَ النعمةِ سببٌ لزوالها.

١٦. في الحديث دليلٌ على أن الله سبحانه يبتلي عبادَه تمحيصاً وتمييزاً وابتلاءً.

١٧. في الحديث دليلٌ على أن الصحةَ والغِنى من نعم الله العظيمة التي تستحقّ أن تُشكَر.

١٨. الحديث دليلٌ على فضل التحدُّثِ بنِعَم الله وأنه من شكر النعمة، كما في قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾[1]، فإن الأعمى حينما سُئل عن نِعم الله عليه تحدّث بها ونسبها إلى الله.

١٩. دلَّ الحديثُ على فضل التواضع وذمّ الكبر، فإن الأعمى تواضعَ ولم يستنكِفْ من ذكرِ حالِهِ القديمةِ فرَفَعَهُ الله، أما صاحباه فإنهما لمّا ذُكِّرا بحالِهما تكَبَّرا، فكان ذلك هلاكاً لهما.

٢٠. يكثرُ في القرآن والسنة ذِكرُ بني إسرائيل، للاعتبار بحالهم ومآلهم، فجديرٌ بالدعاةِ وطلاّب العلم العنايةُ بتاريخِهم للاعتبار بهم والحذر من مشابهتِهم.

٢١. أخبر النبيُّ ﷺ أن السكينةَ في أهل الغنم، والخيلاءَ والكِبرَ في أهل الإبل، وفي هذا الحديث كفَرَ صاحبُ الإبل بالنعمةِ وتكبَّر عنها، وأقرَّ بالنعمةِ وشكرَها صاحبُ الغنم، وهذا دليلٌ على تأثُّر الإنسان بما حوله حتى من البهائم.

---

(١) سورة الضحى:١١.

٢٢. كلّما اشتدّ البلاءُ على الإنسان كان ذلك من أسباب معرفةِ نعمة الله وشكرها، ولذلك كان أكثرُ الثلاثةِ بلاءً الأعمى، وهو الذي شكرَ النعمةَ وعرَفَ قدرَها.

٢٣. في الحديث دليلٌ على فضل الصدق وذمّ الكذب، فصِدقُ الأعمى أنجاه، وكَذِبُ صاحبيه كان سبباً في زوال النعم التي أنعم الله بها عليهما.

٢٤. في الحديث دليلٌ على أن الحسنة تجلب الحسنة، وكذلك السيئة، فقد اجتمع عند الأعمى حسناتُ شكرِ النعمةِ والصدقِ والتواضعِ والإحسانِ للناس، واجتمع عند صاحبيه سيئاتُ كفرِ النعمةِ والكذبِ والكبرِ والشحّ.

٢٥. في الحديث أن بعض الغنى والعافية بلاءٌ، فالأقرع والأبرص كانا بخيرٍ قبل الإنعام عليهما، فلمّا نزل البلاءُ تمايَزوا وتبايَنوا.

٢٦. أبطلَ الحديثُ ما يظنّه الإنسانُ من أن نقصَهُ في بدنِهِ ومالِهِ يعني عدمَ سعادته، فالأقرعُ والأبرصُ لم ينقصْهما إلا الشَّعرُ والجِلدُ.

٢٧. دلَّ الحديثُ على أن الخيرَ ليس في كثرةِ المال إنما في بركته، فإذا ذهبتْ البرَكةُ ذهبَ المال.

٢٨. يَحسُنُ بالذي يقصُّ القِصةَ أن يختصرَ في الموضعِ الذي يحسُنُ فيه الاختصار، لذلك قال النبي ﷺ حينما تشابَهَ موقفُ الأقرعِ والأبرص: «**فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد هذا**».

٢٩. فيه ضعفُ الإنسان إذا لم يرضَ بقضاء الله، فالأقرع مع سهولة علّتِهِ إلا أنه سأل زوالها، فمع الرضى تصغرُ المَقْضِيَّاتُ في عينِ المُبتَلى، ومع السّخط تَكْبُر.

٣٠. في الحديث أيضاً أن تغيُّرَ الحالِ للأحسن قد يكون ابتلاءً، فلينتبهْ المؤمن.

٣١. فيه دليلٌ على أن الشكرَ تزيدُ به النعمُ، والجحودَ تحلُّ به النِّقَمُ، لمّا كان الأعمى شاكراً بُورِك له، ولما كان الأقرعُ والأبرصُ جاحدَيْن نُقِمَ عليهما.

٣٢. دلَّ الحديثُ على أن مَن شكر النعمَ فقد أرضى الله، ومن جحَدَ النعمَ فقد أسخط الله، قال الملكُ للأعمى: «**لقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك**».

٣٣. في الحديث التحذيرُ من صفةِ المنعِ التي تتحلّى بها الأنفسُ الشحيحةُ، وإلا فإن الرجلَ طلبَ بعيراً واحداً من وادٍ من الإبل.

٣٤. دلَّ الحديثُ على أن النفسَ المؤمنةَ إذا ذُكِّرتْ بماضيها وما حلَّ بها ازدادتْ تواضعاً لله تعالى، فالأعمى لمّا ذُكِّرَ بماضيه قال: خذْ من المال ما شئتَ ودَعْ ما شئتَ.

٣٥. وفيه أيضاً أن الأنفسَ المُتكبِّرةَ إذا ذُكِّرَتْ بماضيها وفقرِها وما حلَّ بها ازدادَتْ عناداً واستكباراً، فالأقرعُ والأبرص لمّا ذُكِرَ لهما الماضي قالا: ورِثْتُهُ كابراً عن كابر.

٣٦. قال الأقرعُ: الحقوق كثيرة، وقال الأبرصُ: الحقوق كثيرة، فتشابهَتْ ألفاظُهم حينما تشابهَتْ قلوبُهم الشحيحة.

٣٧. في الحديث أن البذلَ يسهُلُ على النفس حينما تحتسِبُ الأجرَ، قال الأعمى: لا أجهدك شيئاً أخذته لله، يعني لا أشقُّ عليك.

٣٨. في الحديث أن النيّةَ الجازمةَ تقومُ مَقامَ الفعلِ، فالأعمى لم يدفعْ بعيرَ الصدقةِ لكنّه لمّا كان صادقاً عاقداً عزمَهُ وقعَ ذلك موقعَ الفِعلِ.

٣٩. في الحديث تأكيدٌ على معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾[1].

٤٠. في الحديث دلالةٌ على أن للإنسان حاجاتٍ هي أهمُّ من المال، وأن المالَ لا يسُدُّ كلَّ حاجةٍ مفقودة، فالأقرعُ قدَّمَ طلبَ الشَّعرَ على المال، والأبرصُ قدَّمَ الجِلدَ على المال، والأعمى قدَّمَ البصَرَ على المال.

٤١. في الحديث إثباتُ صفةِ الرضى لله سبحانه وتعالى والسّخط له كما هو مذهبُ أهلِ السُّنّةِ والجماعة، فقد قال في الحديث: «**لقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك**».



(١) سورة العلق:٦-٧.

الْقِصَّةُ السَّادِسَةُ:

الرَّجُلُ الَّذِي سَقَى الْكَلْبَ فَغَفَرَ اللهُ لَهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[١].

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ».

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

الْفَوَائِدُ:

١. الأحرى بالإنسان أن يعتبرَ ويتذكرَ نعمةَ الله عليه حينما يرى حالاً يُشبِهُ حالَهُ التي أنقذه الله منها ؛ لذلك قال هذا الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، والله يقول:

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٤٦٦)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٢٤٤).

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾(١).

٢. في الحديث فضلُ الإحسان إلى البهائم عمومًا ومنه استنبط العلماء: أنه إذا كان هذا الأجر فيمَن سقى كلباً فكيف بمن سقى إنساناً أو أطعمه أو كساه ؟

٣. في الحديث عظيمُ رحمةِ الله وفضله وجوده وكرمه ؛ حيث يُعطِي على العمل القليل الأجرَ العظيم، فقد غفر لهذيْن بسَقْيِ هذا الكلب.

٤. الحديث دليلٌ على فضل الإحسان عموماً، وأن الله يجزي المحسنين أعظمَ الأجر، فهؤلاءِ الذين أحسَنوا إلى حيوان قد غفرَ اللهُ لهما كبائرَ وغفر ذنوبَهما وأدخلَهما في رحمته.

٥. الحديث دليلٌ لمذهبِ أهل السُّنّة والجماعة وهو أن المُسلِمَ لا يكفرُ بارتكاب الكبائر والموبقات، فقد غفر الله لهذه المرأة التي كانت بغيّاً بهذا العمل القليل وأدخلها في رحمته.

٦. دلَّ الحديثُ على أن اللهَ شكورٌ يشكرُ عبدَه إذا عمل الصالحات، ففي الحديث شكرَ اللهُ لهذا الرجل فغفر له فأدخله الجنة.

---

(١) سورة النساء:٩٤.

٧. دلَّ الحديثُ على أن شُكرَ الله لعبده قد لا يكون في الدنيا لكِنَّه سيكون في الآخرة ويكون جزيلاً، فالله شكر لهذا العبد فجازاه بالجنة في الآخرة.

٨. في الحديث دليلٌ على أن الحسَنةَ تكفِّرُ السيئة ؛ فإن هذا الرجل وهذه المرأة قدَّما حسنةً كانت سبباً في تكفير سيِّئاتهما.

٩. في الحديث دلالةٌ على أن الجوابَ على السائل قد يكون بأعمّ من صيغةِ سؤاله، فالسؤالُ كان عن البهائم والجواب كان أن في كلِّ كبدٍ رطبة، وهذا دليلٌ على كرمِ العالِمِ في جوابه على السؤال.

١٠. في الحديث دليلٌ على فضلِ سقايةِ الماء، وأن سقايةَ الماءِ من أعظم الصدقات.

١١. في الحديث أن المُسلِمَ المُوحِّدَ لا يعدَم الخيرَ حتى لو قصَّرَ في طاعةِ الله وتجرّأَ على السيئات.

١٢. في الحديث أن الأعمالَ الصغيرةَ تعظِّمُها النيّة، فهذا الرجلُ - وفي رواية: المرأة البغيّ - تصدّقَ على كلبٍ وهو من أحقر الحيوانات، والمتصَدَّقُ به ماءٌ مبذولٌ وموضوعٌ في حذاءٍ أو خُفٍّ، لكنْ مع صدقِ النيّةِ والإخلاصِ غفرَ اللهُ له ولها.

١٣. في الحديث أن الجزاءَ من جنس العمل، فهذا الرجلُ أحسَنَ لهذه البهيمةِ بالماءِ فأحسَنَ اللهُ إليه بالمغفرة.

١٤. في الحديث توجيهٌ للإنسان بأن لا يحتقرَ من المعروف شيئًا، وأن لا يحتقرَ عملَ أيِّ إنسان.

١٥. في الحديث تربيةٌ على أن لا يمنعَكَ من العمل قِلّةُ شُكرِ الشاكرين، فهذا رجلٌ في صحراء لم يُشكَرْ بل لم يعلمْ به البشرُ ولكن علِمَ به ربُّ البشر سبحانه فأدخله جنةً عرضُها السَّموات والأرض.

١٦. في الحديث توجيهٌ بأن لا تمنعَكَ شدةُ الظروف التي تمرُّ بها مِن فعل الخير وبذلِهِ، فهذا الرجلُ في صحراء وكان في أشدّ العطش ومع ذلك عندما رأى باباً للخير دخلَهُ فكان سبباً في دخوله الجنة.

١٧. في الحديث بيانٌ لِعَظَمةِ هذا الدينِ وعراقةِ هذه الحضارةِ الإسلاميّةِ التي نفخَرُ ونُفاخِرُ بها، فقد سبقتْ بالحقوقِ كلَّ دعاةِ الحقوق، فـ«**في كل كبد رطبة أجر**».

١٨. لكلِّ مَن تكالبَتْ عليه الظروف: إن ربّاً لم يترُكْ كلباً في صحراء يلهثُ من العطش لن يترُكَ عبداً قدِمَ عليه وتوجّه إليه.

١٩. في الحديث حِرْصُ الصحابة على الخير وسؤالُهم عن أبوابه،

فإنه لمّا فرغ النبيُّ ﷺ من القصةِ تولَّدتْ لديهم الرغبةُ في الأجر الحاصل في هذا الحديث فسألوا: إن لنا في البهائم أجرًا ؟

٢٠. في الحديث تربيةٌ على أعمال السرّ والخفاءِ وأنها تقع عند الله الموقعَ الحسَن، فقولُ الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، قولٌ لم يسمعْهُ أحدٌ إلا الله فوقعتْ عند الله الموقعَ الحسَنَ فغفر له وأدخله الجنة.

٢١. كم للذي حفرَ البئرَ من الحسنات إذا أخلص لله ؟! فكم من مُنتفعٍ بسببِهِ ؟ لذلك احرصْ على أن يكون لك عملٌ صالحٌ مُتعَدٍّ تجِدْ نفعَهُ أضعافَ ما تظنّ.

٢٢. دلَّ الحديثُ على حُسنِ استغلال فرص الخير إذا عرضتْ للإنسان، كان بين الرجل وهذه المرأة وفواتُ الأجر والخير أن يتجاوزا البئرَ وأن يترُكا الكلبَ، لكن لمّا عرضتْ لهما هذه الفرصةُ أحسَنا استغلالَهَا.

٢٣. دلَّ الحديثُ على أن دينَ الإسلام دينُ نفعٍ وأثرٍ مُتعَدٍّ على كلِّ مَن حول المسلم حتى على البهائم.

٢٤. دلَّ الحديثُ على أن مَن نوى الخير وأراده فلن يعدَمَ وسيلةً

لذلك، هذا الرجل وهذه والمرأة سقيَا الكلبَ بخفِّهما ومُوقِهما، ثم أمسك الخفَّ والمُوقَ بالفم.

٢٥. قوله: «من بغايا بني إسرائيل» "مِنْ" تبعيضيّة أيْ: بعضُ بغايا بني إسرائيل، والبغِيُّ هي الّتي تمتهِنُ الزّنا امتهاناً، وهذه اللّفظة تدلّ على ما كانت عليه أمةُ بني إسرائيل من بُعدٍ عن شرعِ الله وانتشارٍ للفواحش بينها ممّا لا يجعلُها قدوةً للأمم.

٢٦. دلَّ الحديثُ على أن الأعمالَ لا تُقاسُ بظواهرها، فالسّاقي بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل والمَسْقِيُّ كلبٌ من الكلاب النجسة، ومع هذا ترتَّبَ هذا الأجرُ العظيمُ، فلا يعلمُ حقائقَ الأمور إلا الله.

٢٧. في الحديث بيانٌ للحكمةِ من تنوُّعِ شُعَبِ الإيمان، فهذه المرأةُ مع إسرافِها في شعبةِ الحياءِ والعفافِ إلا أنها أحسنَتْ في شُعبةِ البذلِ والعطاءِ فكان عاقبةُ ذلك خيراً لها.

٢٨. هذا الحديثُ من أحاديث الرجاء، ومنهجُ أهل السُّنّةِ والجماعة في التعامُلِ مع أحاديث الرجاء هو الجمعُ بينها وبين أحاديث الوعيد، فكما أن الله غفرَ لهذه الزانيةِ البغيِّ بهذه الحسَنةِ فإنه قد توعَّدَ الزّناةَ بالعذابِ العظيمِ يوم القيامة إن لم يغفرْ اللهُ لهم.

***

الْقِصَّةُ السَّابِعَةُ:

الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي الْمَهْدِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ -وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي؛ فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟

قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ، كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا.

وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ، قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمَصُّهَا، قَالَ: وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَى! مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا»(١).

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٣٦)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٥٥٠).

الْفَوَائِدُ:

١. دلَّ الحديثُ على أن العابدَ يدخل عليه الضَّرَرُ على قدْرِ تقصيرِهِ في العِلم، لمّا لم يستجبْ جريج لأمه وكان بإمكانهِ أن يستجيبَ لأمه وأن يقضيَ صلاتَه دخل عليه الضَّرَرُ على قدْرِ تقصيرِهِ في هذا العِلم.

٢. في الحديث فضلُ برّ الوالدين، وتقديمُ برّهما على كثيرٍ من الأعمال الصالحة.

٣. في الحديث خطأُ بعض العُبَّاد في تقديمِ بعض العبادات الذاتيّة على العباداتِ المتعدّيةِ الأَوْلى منها.

٤. في الحديث أن لِدعاءِ الأمّ مكانةً عند الله، فهذا العابدُ بعد دعاءِ أمّهِ عليه هُدِمَتْ صومعتُهُ وضُرِبَ واتُّهِمَ بالزّنا.

٥. في الحديث بيانُ وجودِ الحسَدِ عند بني إسرائيل، حيث تذاكَروا جريجاً وعبادتَه فحسَدوه، فأتوا له بهذه المرأة البغيّ، فهُم يحسدون عُبّادَهم وعلماءَهم، وحتى غيرهم من الأمم كما قال الله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ

إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم}(١).

٦. دلَّ الحديثُ على رغبةِ بعضِ أهلِ الفسادِ بأن يفسدَ غيرُهم كما فعلتْ البغيُّ في محاولةِ إغوائِها للرجل العابد.

٧. في الحديث أن بعضَ المفسدين لا يكتفي بفساده، بل يسعى في نشرِ فسادِهِ حتى بين الصالحين.

٨. دلّ الحديثُ على أن العقوبةَ بالتُّهمةِ قبل ثبوتِها إنما هو صفةٌ من صفات بني إسرائيل، قال: أَخَذوه فأنزَلوه وهدَموا صومعتَه وضرَبوه وهو يقول: ما شأنُكم ؟

٩. دلَّ الحديثُ على أن الصلاةَ تُفرِّجُ بها الكروب، لمّا اتُّهِمَ جريجٌ قال: دعوني أصلّي، ففرَّجَ اللهُ له.

١٠. دلَّ الحديثُ على أن علاجَ الشهواتِ يكون بعدَمِ الالتفاتِ إليها، فالمرأة البغيُّ دعَتْ جريجاً وقال النبي ﷺ: «**فلم يلتفت إليها**»، ونبيُّ اللهِ يوسف لمّا دَعَتْهُ المرأةُ استبَقَ البابَ.

١١. دلَّ الحديثُ على أن كثرةَ العبادةِ والصلاةِ النافلة تحديداً تعصِمُ من الفِتن ومن فتنةِ النساءِ على وجهِ الخصوص، ومِصداقُ

(١) سورة البقرة:١٠٩.

ذلك في كتاب الله: {فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ}(١).

١٢. في الحديث جوازُ نسبةِ الناس لأعمالهم، فقد نُسِبَ الرجلُ الذي أتى المُومِسَ بالراعي.

١٣. دلَّ الحديثُ على أن العبادةَ تروِّضُ النفسَ وتهذِّبها، لمّا قيل لجريج: نُعِيدُ صومعتَكَ من ذهب؟ قال: لا، أعيدوها كما كانت.

١٤. في الحديث بيانٌ لحالِ العامّةِ والجماهيرِ في عاطفتِهم واندفاعِهم، حيث صدَّقوا المُومِسَ في الرجل الصالح دون بيّنةٍ ولا دليل، ولم يسألوه بل اتَّهمُوه وضرَبوه وهدَموا صومعتَه، ولمّا علِموا صدقَهُ اتَّجهوا للغلوّ المُعاكِس في عَرْضِ بناءِ الصومعةِ من الذهب.

١٥. دلَّ الحديثُ على ما كان عليه مجتمعُ بني إسرائيل من التناقض، قالوا لجريج: زنيْتَ بهذه البغيّ، فترَكوا البغيَّ وضرَبوا العفيفَ.

١٦. دلَّ الحديثُ على صفةِ الغلوّ عند بني إسرائيل حينما أحبُّوا وحينما أبغَضوا، فحينما أبغَضوا جريجاً أنزَلوه من صومعتِهِ وهدَموها

(١) سورة مريم:٥٩.

وضرَبوه، وحينما أحبُّوهُ جعَلوا يتمسَّحون به ويتبرَّكون، فالضربُ مع التّهمةِ تفريطٌ، والتمسُّحُ مع صدقِهِ والتبرُّكُ به إفراطٌ.

١٧. في الحديث بيانٌ أن أهلَ الباطل يُخطِّطون على مدى طويلٍ لإفسادهم، هذه البغيُّ أكثر من تسعة أشهر وهي تُخطِّطُ وتعملُ لإيقاعِ جريج في فِرْيتِها، فاللهمّ إنا نعوذ بك من عجز الثقة وجلَد المنافق.

١٨. في الحديث دليلٌ على أهمّيّةِ العِرض ومكانتِه، فإن الله عز وجل أنطَقَ الأطفالَ الثلاثةَ في مهدِهم دفاعاً عن الأعراض، فعيسى ﷺ تكلّم في المهد دفاعاً عن عِرْضِ أمّهِ حين اتُّهِمت بالزنا، وفي قصة جريج نطقَ الطفلُ تبرئةً له، وفي قصةِ المرأة كذلك.

١٩. دلَّ الحديثُ على أن الله عز وجل ينصر عباده الصالحين، فإن الله عز وجل أجرى هذه المعجزاتِ والكراماتِ نصرةً لمريم ﷺ، ولجريج، وللأمة، ودفاعاً عن أعراضهم.

٢٠. لكلّ مظلوم: إن ربّاً أنطقَ صبيّاً في المهدِ من أجل تبرئةِ مظلومٍ سيُنطِقُ جميعَ أدلةِ براءتك حتى لو ظننْتَ أنها لن تُنطق، فتوجَّهْ إليه قبل أن تتوجَّهَ للبشر.

٢١. في الحديث دليلٌ للحديث الآخر: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»، فهذا الرجلُ العابدُ لمّا كان مُفرِّغاً نفسَه للعبادة والصلاة أنجاه الله لمّا وقعت به الشدةُ والمكروه.

٢٢. الحديث دليلٌ على أن البلاءَ يُصيبُ الناسَ الأمثلَ فالأمثل، وأن عاقبةَ هذا البلاء إلى خير إذا صبر الإنسانُ واتّقى ربَّه، فجريجٌ بعد البلاءِ كان أفضلَ عند الناس وعند ربّ الناس منه قبل البلاء.

٢٣. الحديث دليلٌ على أن العبادةَ والصلاحَ وطولَ الصلاة تمنحُ القلبَ قوةً وحُسنَ ظنٍّ بالله ورباطةَ جأشٍ في مواجهة الأمور العظام كما فعل جريجٌ في ثباتِهِ في هذا الأمر.

٢٤. دلَّ الحديثُ على أن العالِمَ هو الذي يفرِّقُ بين خير الخيرَيْن فيختاره ويجتنب شر الشرّيْن، فهذا العابد جريج في أولِ أمرهِ لم يخترْ ما يحبّه الله وقدَّمَ المفضولَ على الفاضل، فكان هذا سبباً لبلائه.

٢٥. في الحديث أثر قول: "حسبي الله ونعم الوكيل" عند وقوع الظلم على العبد، فلها أثرٌ في تفريجِ الكروبِ وإيضاحِ الحقائقِ وإزالةِ الهمومِ والغمومِ عن العباد.

٢٦. في قصةِ الطفل الذي يرضعُ من أمّهِ وتكلُّمِهِ في المهد بيانُ

عدمِ الاستعجال في الحُكم على ظواهرِ الناس حتى يثبُتَ ذلك الحُكمُ عليهم.

٢٧. في الحديث إثباتُ الكرامةِ في بني إسرائيل فهذان الطفلان قد تكلَّما وهُما في المهد.

٢٨. إن من أساليب التعليم النبوي التعليمَ بالفعل، فالنبي ﷺ وضَعَ أصبعَهُ السبّابةَ في فيه تمثيلاً لفعلِ الصبيّ.

٢٩. في الحديث بيانُ الفرْق بين الحسد والغِبطة، ففي قصة جريج حسَده بنو إسرائيل، وفي القصة الثانية تمنّتْ هذه المرأة أن يكون ابنُها مثلَ هذا الرجل، وهذا ما يُعرف بالغبطة، وهي تمنّي ما عند الغير من الخير من غير حسدٍ له، أي من غير تمنّي زوال نعمته، وقد ورَدَ في فضل الغبطةِ أحاديثُ كُثر.

٣٠. في الحديث دليلٌ على فضل الآخرة على الدنيا، فالرجل حسَن الهيئة امتلك ما يشاء من الدنيا، ومع ذلك قال الغلام: اللهم لا تجعلني مثله، لظلمه وجبروته، أما المرأة المظلومة المُتّهمة بعِرْضها فهي من أبأس الناس حالاً في هذه الدنيا ومع ذلك قال الغلام: اللهم اجعلني مثلَها، فالعِبرةُ بالفوْزِ في الآخرة لا بالفوْزِ في الدنيا.

٣١. اصنعْ لك مَسارَكَ الخاص في الحياة، ففي الحديث توجيهٌ لإنقاذِ النفسِ من دوّامة المُقارنات، لماذا لا أكون مثلَ فلان ؟ لماذا لا نكون مثلَ آل فلان ؟ فإن الصبيَّ الرضيعَ وجّهَ لأمِّهِ رسالةً واضحةً بهذا.

٣٢. لا تتأخّرْ في بيان الحق، ولا تنتظرْ من غيرك أن يبيّنَ الحقَّ وأنت سلبيٌّ، فهذا الصبيُّ الرضيعُ عندما سمِعَ ما لا يُعجِبُهُ تركَ الثدْيَ مباشرةً وأقبلَ إليه وقال: اللهمّ لا تجعلني مثله.

٣٣. دلَّ الحديثُ على قُبح الزّنا وشؤمِهِ، حتى كان مجرَّدُ النظرِ إلى وجوه المُومِساتِ والبغايا عقوبةً يُعاقَب بها العبد، ودعوةً يُدعى بها عليه، فليحذرْ الذين يُطلِقون أبصارَهم في النظر إلى ما حرَّمَ اللهُ ويحسَبون أنهم يتلذّذون، وهُم في الحقيقة يُعاقَبون.

٣٤. دلَّ الحديثُ على أن مَن اكتفى بالله كفاه، ومَن توكّل عليه فرَّجَ همَّهُ، لمّا قالت الجارية حسبي الله ونعم الوكيل، أنطقَ اللهُ الصبيَّ ببراءتها.

٣٥. في الحديث دليلٌ على أن العِبرةَ بما يقع من الإنسان من الإيمان والتقوى، وليس بحُسنِ الهيئة والمنظر، فهذا الرجل الذي مرّ وكان حسَنَ الهيئة قالت المرأة لمّا اغترَّتْ بمنظره اللهم اجعل ابني

مثله، فقال الولد: اللهم لا تجعلني مثله، فالعِبرةُ بما عند الله وليس بهيئةِ الرجل ولا منظره.

٣٦. في الحديث دلالةٌ على اختلافِ أحوالِ الناس وشؤونهم وأمورهم، أمٌّ تدعو على ولدها وأمُّ الصبيِّ تدعو لولدها، وامرأةٌ تعرِضُ نفسَها للبِغاء وامرأةٌ تُتَّهَمُ فتقول حسبي الله.

***

الْقِصَّةُ الثَّامِنَةُ:

مُوسَى عليه السلام وَحِوَارُهُ مَعَ مَلَكِ الْمَوْتِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ، قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَى عليه السلام عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، قَالَ: فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي! قَالَ: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلِ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعَرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالْآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ»[1].

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دليلٌ أن الأعمارَ بيَدِ الله المُحيي المميت، يُطيلُ منها ما يشاء ويقصر منها ما يشاء بحكمته سبحانه وتعالى.

٢. في الحديث أن جميع المخلوقات لها نصيبٌ من الضَّعف

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٣٣٩)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٧٢).

والنقص، فالملائكة مع ما أعطاهم الله من القوة إلا أنهم قد يتأذَّوْن، كما تأذَّى ملَكُ الموت من موسى عليه السلام بعدما ضربه وفقأ عينَه، ليبقى الكمالُ المطلَقُ لله سبحانه وتعالى.

٣. في الحديث خطورةُ العَجَلةِ وضررُها على الإنسان، فموسى عليه السلام مع فضله في النبوة والرسالة وعصمته وكونه من أولي العزم من الرسل، إلا أنه بسبَبِ العَجَلةِ ضربَ ملَكاً وفقأ عينَهُ.

٤. في الحديث أهميّةُ قصَصِ الأنبياء وأن الحديث عنها من أساليب الدعوة إلى الله، وهذا ما فعله النبي ﷺ من ذِكره لقصةِ موسى عليه السلام مع ملك الموتِ لأصحابه.

٥. دعوة موسى عليه السلام: «**رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر**» دليلٌ على أفضليّةِ هذه الأرض وأفضليّةِ أولئك الرجال المُرابِطين في أكنافها.

٦. في الحديث رسالةٌ لأولئك الحادِّين في علاقاتهم مع إخوانهم، فلا يعذرونهم عند خطئهم بسبب ظروفِ الحياةِ أو بسببِ الحرصِ عليها، فموسى عليه السلام وهو كليمُ الله وقعَ منه ما وقعَ وعذَرَهُ ربُّهُ سبحانه وتعالى.

٧. في الحديث تنبيهٌ على خَلَلِ الأولويّات وقَلْبِ الهَرَمِ الذي يُعاني منه البعض، عندما أعطى الحياةَ الدنيا مساحةً أكبرَ من الحجم المُخَصَّصِ لها وعلى حساب الآخرة، وهذه هي الحياة: مهما عشتَ فإنك ميّت، فأعطِها نصيبَها واجعلْ النصيبَ الأكبرَ للحياة الباقية.

٨. القصةُ مصداقٌ لقوله ﷺ: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء**» فإن اللهَ عز وجل خيَّرَ موسى عليه السلام أن يُطِيلَ عمره، ولو أراد موسى عليه السلام ذلك لأجابه الله سبحانه وتعالى.

٩. الحديث فيه ردٌّ على الذين يقولون لا تُخَوِّفوا الناسَ بذِكر الموتِ وأحاديثِهِ وقَصَصِهِ، فالنبيُّ ﷺ ذكرَ قصةَ موسى، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات**».

١٠. قولُهُ في الحديث: «**إنك أرسلتني**» دلَّ على أن ملَكَ الموتِ لا يقبِضُ أرواحَ العباد حتى يرسله الله سبحانه وتعالى، فهو مأمورٌ من الله بقبضِ أرواح العباد.

١١. قوله في الحديث: «**جاء ملك الموت**» دلَّ أن الرّوحَ لا تخرُجُ بذاتها، حتى يأتي ملَكُ الموتِ ويقبضها من العبد.

١٢. "ملك الموت" هكذا جاء اسمُهُ في هذا الحديث وفي غيره

من الأحاديث، ولم يصحّ حديث في تسميته بـ" عِزرائيل ".

١٣. دلَّ الحديثُ على أن الموتَ يأتي فجأة، ولهذا ينبغي الاستعداد له، قال ملَكُ الموت لموسى مفاجئاً له: أجِبْ ربَّك.

١٤. دلَّ الحديثُ على قِصَرِ الدنيا وإن طالت، فقد وُصِفَتْ في الوحي بأنها ساعة من نهار، ووُصِفَتْ بأنها عشيّة أو ضحاها، ووُصِفَتْ بأنها قيلولة مسافر تحت شجرة، وغيرها من الأوصاف التي تدلّ على قصرها.

١٥. الأنبياء ﷺ مهما بلغوا من المنزلة فهم عبيدٌ لله سبحانه وتعالى، فهذا موسى ﷺ كليم الله وكتب الله له التوراة بيده، ومع ذلك يقول الله لملك الموت: إرجعْ إلى عبدي.

١٦. دلَّ الحديثُ على أن الملائكة مُنزَّهَةٌ عن شهوةِ الانتقام، ولهذا لم ينتقمْ الملَكُ لنفسِهِ، فهُم عبادٌ بلا هوى.

١٧. دلَّ الحديثُ على قوة إيمان الملائكة وأنهم يفعلون ما أمر الله به ولا يتجاوزون ذلك، لمّا لَطَمَ موسى عينَ المَلَكِ لم يتصرّفْ المَلَكُ بشيءٍ حتى رجعَ إلى ربه.

١٨. دلَّ الحديثُ على أن الأنبياء يُدفَنون حيث ماتوا، ولهذا كان قبرُ موسى بجانب الطريق.

١٩. دلَّ الحديثُ على أن من وصَفَ أمراً بناءً على ظاهر الحال فإنه لا يُلامُ على ذلك، وصفَ ملَكُ الموتِ موسى عليه السلام بأنه لا يريدُ الموت وإنما يريد الحياة، وليس موسى عليه السلام كذلك.

٢٠. دلَّ الحديثُ على هوان الدنيا على الله، ولهذا أُعطِيَ موسى عليه السلام منها عددَ شعرِ جلدِ الثور، ممّا دلَّ على هوانِها عليه سبحانه وتعالى.

٢١. دلَّ الحديثُ على ما يكون عليه المؤمن من القوة، قوة في بدنه، وقوة في إرادته وعزيمته، أما قوة البدن، فقد لطمَ موسى عليه السلام عيْنَ الملَكِ ففقأها، وأما قوة العزيمة فقد اختارَ لقاءَ الله الآن.

٢٢. دلَّ الحديثُ على شدةِ موسى عليه السلام وقوّةِ غضبِهِ، ومع هذا هو داعيةٌ من أولي العزم من الرسل، فالدعوة لا تتعارَضُ مع الغضبِ والشدة.

٢٣. دلَّ الحديثُ أن شَدَّ الرحلِ لزيارة قبور الأنبياء ليس مشروعاً، بل هو ممنوع، ولذلك لم يشدّ النبيُّ ﷺ الرحلَ لزيارة قبر موسى عليه السلام، فكيف بمَن يشدُّ الرحلَ ويتمسَّحُ بصاحبِ القبر ويدعوه من دون الله عز وجل ؟

٢٤. دلَّ الحديثُ أن النبيَّ ﷺ يعلمُ مكانَ قبر موسى ﵇، ولكنّه وصَفَهُ لأصحابه ولم يعيِّنْهُ، ولذلك قال أهل العلم: لا يُعرَفُ قبرُ نبيٍّ من الأنبياء إلا نبيّنا محمد ﷺ.

٢٥. في قول النبي ﷺ في آخر الحديث: «**والله لو أني عنده لأريتكم قبره**» فيه دليلٌ على جواز قول (لو) لِتمنّي فعلِ الخير أو لِبيانِ علمٍ نافع.

٢٦. في الحديث أن الله يصطفي من الأماكن ما يشاء ويجعل له فضلاً وقداسةً، مثل مكة والمدينة والقدس، ومن الأزمنة كرمضان وعشر ذي الحجة، ومن الأشخاص كالأنبياء والرسل.

٢٧. في الحديث أن صاحبَ المقاماتِ العاليةِ والفضلِ يُتجاوَزُ عنه ما لا يُتجاوَزُ عن غيره، فموسى ﵇ صبرَ على ظلمِ فرعون وطغيانه، وصبرَ على بني إسرائيل مع كثرةِ تقلُّبِهم عليه.

٢٨. في الحديث أهميّةُ الدعوة والإصلاح في حياة الأنبياء، فموسى ﵇ أراد البقاءَ في الدنيا لا لزينتِها وبهرَجِها، بل للدعوة إلى الله وإصلاح بني إسرائيل.

٢٩. الحديث دليلُ على فضيلةِ الأرضِ المقدّسة وهي بلاد

الشام، حيث تمنّى موسى عليه السلام أن يكون قبرُهُ قريباً منها رميةً بحَجَرٍ.

٣٠. الحديث دليلٌ على أن كلَّ عالمٍ بأمرِ الآخرة وعارفٍ بأحوالها فإنه يزهدُ في هذه الحياة ويشتاقُ إلى ربه، ولمّا كان الأنبياءُ أعلمَ الناس بحقيقةِ الآخرة كانوا يزهدون في هذه الحياة مع إمكان بقائهم فيها، فيختارون الدارَ الآخرة.

٣١. الحديث دليلٌ على جوازِ سؤالِ الإنسان أن يموتَ في مكانٍ معيَّنٍ، وأن يموت في مكانٍ مبارك.

٣٢. الحديث دليلٌ على كرامة موسى عليه السلام عند ربه، حيث لطَمَ ملَكَ الموتِ ففقأَ عيْنَهُ ولم يُعاقِبْهُ الله، وأيضاً فيه دلالةٌ على كرامتِهِ حيث أعطاه الله من السنين، وخَيَّرَهُ أن يعيش سنينَ طويلةً في هذه الحياة كرامةً له من الله.

٣٣. دلَّ الحديثُ على أن الأنبياء يُخَيَّرون عند قبضِ أرواحِهم بين رحمةِ الله وبين البقاءِ على قيد الحياة، كما خُيِّرَ موسى عليه السلام في هذا الحديث، وكما قالت عائشة رضي الله عنها لمّا سمعتْ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو في فراش موته يقول: «**اللهم الرفيق الأعلى**» قالت: فعلمت أنه خُيِّرَ فاختار.

***

الْقِصَّةُ التَّاسِعَةُ:

مُوسَى عليه السلام وَالْحَجَرُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى ﷺ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ، يَقُولُ: ثَوْبِي يَا حَجَرُ، حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالْحَجَرِ، سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبًا بِالْحَجَرِ(١).

وَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾(٢).

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٧٨)، ومسلم في صحيحه برقم (٣٣٩).

(٢) سورة الأحزاب:٦٩.

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث بيانُ فسادِ بني إسرائيل، وقلّةِ حيائهم، بكشفِهم لِعوراتِهم.

٢. في الحديث دليلٌ على أن المفسدين وأصحابَ المعاصي يُحِبُّون مَن يُوافِقُهم على فسادهم ومعصيتهم، فإذا لم يُوافِقْهم اتَّهَموه زوراً وبهتاناً.

٣. الحديث دليلٌ على أن الله يُوقِعُ المكروهات على العبد لحكمةٍ يعلمها ورحمةً به، ولذلك هرَبَ الحجرُ بثوبِ موسى عليه السلام فنظرَ إليه بنو إسرائيل وهو يكره ذلك، ولكنّ عاقبةَ ذلك أنهم قالوا: ما بموسى من بأس.

٤. الحديث دليلٌ على عِظَمِ حياءِ موسى عليه السلام، ومن حيائهِ سَترُ عورتِهِ وعدمُ إظهارِ شيءٍ من جسدِهِ للناس.

٥. الحديث دليلٌ على أذيّةِ الجُهّالِ لِعبادِ الله الصالحين من الأنبياء فمَن دونهم، وأن على الدعاةِ والصالحين أن يتشبَّهوا بالأنبياء بالصبر على أذى الجُهّالِ كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[1].

(١) سورة الفرقان:٦٣.

٦. الحديث دليلٌ على أن الله يدافِعُ عن عباده الصالحين وينتصِرُ لهم ممّن ظلمَهم ويدفعُ عنهم أذى الجُهّال، كما برّأ اللهُ موسى ﷺ من هذه الأذيّةِ بشيءٍ يكرهُهُ ﷺ، ولكنّه أظهرَ الحقيقةَ فكان دفاعاً عنه ﷺ.

٧. دلَّ الحديثُ على أن حِفظَ السُّمْعةَ أمرٌ مقصودٌ في الشريعة، فعلى الإنسان أن يسعى في براءةِ نفسِهِ من التُّهَم.

٨. دلَّ الحديثُ على أن المُنكرَ إذا انتشَرَ استُمْرِأَ وأصبح مُعتاداً، في الحديث قال: «**ينظر بعضهم إلى بعض**».

٩. دلَّ الحديثُ على أن العِفّةَ والاستعفافَ أمرٌ اتّفقَتْ عليه الشرائع، ومن ذلك سَترُ العورات.

١٠. الحديث توجيهٌ لأهميّةِ دراسةِ التاريخِ بصورةٍ عامة، وفي الظواهر الاجتماعية بصورةٍ خاصة، فظاهرةُ التعرّي ليست وليدةَ اليوم لدى القوم، بل هي أصيلةٌ وموجودةٌ في تاريخهم.

١١. ما أجملَ ألفاظَ الأنبياء وما أعظمَ رُقِيِّهم، إنهم مدرسةُ التحضُّرِ هُم وأتباعُهم للإنسانيّة بأكملِها، موسى في موقفٍ عصيبٍ وهو مَن هو في شدةِ الحياء ومع ذلك بألفاظٍ راقيةٍ ينادي حَجَراً: "**ثوبي حجر، ثوبي حجر**".

١٢. يضع الإنسانُ الخطَطَ الطموحةَ ذاتَ الأهدافِ المميّزة، ولكنْ قد يقدِّرُ اللهُ أن لا تتحقّقَ النتائجُ المَرْجوّة، وهذا لا يعني غباءً ولا ضعفاً، وأحياناً لا يعني كذلك خللاً في الخطط، ولكنْ لله حكمةٌ، فموسى ﷺ نبيٌّ الله وهدفُهُ نبيلٌ وعندما أراد اللهُ ما أراد جعلَ حَجَراً يمشي.

١٣. يغضب بعضُ الناس وهو مُحِقٌّ من كثرةِ القيل والقال ويرى أنها سِمةٌ لهذا الزمان خصوصاً مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، وهي صفةٌ ضاربةٌ في أعماقِ التاريخ، فهؤلاء بنو إسرائيل يقولون عن موسى أنه آدر، وقد قيل وقيل، ولذلك: لِنتعامَلْ مع الأمر بواقعيّة، ونستمرّ في جهود الإصلاح وِفقَ ما وجَّهَنا إليه دينُنا الحنيف.

١٤. كم يسعى كثيرٌ من الناس اليوم أن تكون لهم وجاهةٌ دنيويّة، لكنّ أولى وأهمَّ وجاهةٍ يجب أن يسعى لها الإنسانُ هي أن يكون عند الله وجيهاً.

١٥. في الحديث معيّةُ الله الخاصّةُ لأنبيائه بنُصرتِهم وتبرئَتِهم ممّا يُنسَبُ إليهم.

١٦. في الحديث صِلةُ الأخلاقِ بالعقيدة، فَبَنُو إسرائيل بدأ

الانحرافُ عندهم أخلاقيّاً بالنساء والعري، ثم انتهى بتحريفِ الدينِ وقتلِ الأنبياء.

١٧. في الحديث النهيُ عن إيذاء المؤمنين، ولهذا عقَّبَ النبيُّ ﷺ على هذه القصة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾(١)، فأذيّةُ الأنبياءِ وأتباعِ الأنبياء من مناهج بني إسرائيل.

١٨. في الحديث النهيُ عن مُشابهةِ بني إسرائيل في خصائصِهم وأساليبِهم، ومن ذلك إيذاءُ الأنبياء، قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾(٢) وهذا يستدعي دراسةَ تاريخِ بني إسرائيل وما امتازوا به وأساليبِهم.

١٩. دلَّ الحديثُ على أن الله يغارُ على عباده الصالحين ويدافع عنهم، قال الله: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾(٣)، والفاء للتعقيب، ممّا يدلُّ على سرعةِ غيرةِ الله على إيذاءِ موسى عليه السلام.

٢٠. دلَّ الحديثُ على أن الأنبياء عليهم السلام أكملُ الناسِ خَلقًا وخُلقًا،

---

(١) سورة الأحزاب:٦٩.

(٢) سورة الأحزاب:٦٩.

(٣) سورة الأحزاب:٦٩.

فموسى عليه السلام حييٌّ عفيفٌ، وكاملُ الخِلقةِ سَوِيُّ البدن.

٢١. دلَّ الحديثُ على قوةِ نبيِّ الله موسى عليه السلام ، حيث أثَّرَ ضَرْبُهُ في الحجَر.

٢٢. في الحديث فائدةٌ تتعلَّقُ بعلوم القرآن، فليس المرادُ بقول الراوي: نزلت الآية في كذا أنه سببُ النزول، ففي هذا الحديث لمّا ذُكر الحديثُ قال الراوي: ونزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾[1]، وليس المرادُ بأن هذه القصةَ هي سببُ نزولِ هذه الآية.

٢٣. مَن فقدَ خُلُقاً كالحياء فإنه يصعُبُ عليه تصوُّرُهُ والشعورُ به، ويظهرُ ذلك جليّاً حينما يرى أثرَ هذا الخُلُقِ على غيره، فإنه سيفسِّرُهُ بتفسيراتٍ أخرى.

٢٤. الحديث دليلٌ على أن مُخالَفةَ السائدِ والمنتشرِ من أعمالِ الناس وأفعالِهم لا يُعَدُّ ذمّاً، فموسى عليه السلام كان يغتسل وحدَهُ وكان القومُ جميعاً يغتسِلون عراةً.

***

(١) سورة الأحزاب:٦٩.

الْقِصَّةُ الْعَاشِرَةُ:

آدَمُ عليه السلام وَمَلَكُ الْمَوْتِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ، فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمُرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمُرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. دلَّ الحديثُ على إثباتِ صفةِ اليد لله على وجه الحقيقة كما يليقُ

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٣٠٧٦)، والحاكم في المستدرك برقم (٢١٤)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

بجلاله وعظمته، وذلك لأن الأدلةَ التي فيها كلمةُ (يد) أوضحَها هذا الحديث بقوله: «مسح ظهره» فهي إذاً يدٌ يُمسَحُ بها.

٢. في الحديث إثباتُ سعةِ علمِ الله الواسع وقدرتِهِ النافذة، فقد أخرجَ من ظهرِ آدم كلَّ نسمةٍ هو خالقُها من ذريته إلى يوم القيامة، وهذا يربّي في قلبِ المؤمن المَهابةَ لله.

٣. يتعامل المؤمنُ مع هذا الحديث وأمثاله بالتصديق والتسليم لله، ولا ينشغلُ بكيفيّةِ وقوعِ إخراجِ ذريّةِ آدم وعرضِهم إلى آخر ما ورد، فكيفيّةُ ذلك من عِلمِ الله، وكما قال أهل العلم: لا تثبُتُ قدَمُ الإسلامِ إلا على ظهرِ التسليم.

٤. فيه أيضاً إثباتُ صفةِ الكلام لله على ما يليق بجلاله وعظمته، فقد تكلَّمَ مع أبينا آدم وسمِعَهُ آدمُ ﷺ .

٥. الحديث دليلٌ على إثبات القدَر وأن الله كتبَ مقاديرَ الخلائقِ وكتبَ أعمارَهم وعَلِمَ ذلك وأجراه سبحانه وتعالى.

٦. دلَّ الحديثُ على أن كلَّ شيءٍ بقدَر الله حتى أسماء العِباد، ففي الحديث قال: «يقال له داود» فالله سمّى داود قبلَ خلقِهِ لداود.

٧. في الحديث فضلُ داود ﷺ حيث كان له نورٌ أعجَبَ آدمَ ﷺ

حينما رآه وسأل عنه فقيل إنه من آخِر الأمم، فأراد أن يمنحَهُ من عمره.

٨. في الحديث دليلٌ على أن من الفِطرةِ إيثارُ الوالِدِ ولدَهُ على نفسِهِ.

٩. وفيه أن كلَّ مَن كان من الصُّلبِ يسمّى ابناً وإن بَعُد.

١٠. وفي الحديث أن آجالَ الخلقِ لا يعلمُها إلا اللهُ سبحانه وتعالى.

١١. يرى بعضُ الآباء أو الأمّهات أن نقاشَ الابنِ أو الابنةِ لِقرارٍ من قراراتِهم هو نوعٌ من العقوق، ويرى بعضُ المعلِّمين أن نقاشَ طلاّبِهم هو نوعٌ من قلّةِ الأدب، ويرى بعضُ المُديرين أن نقاشَ الموظَّفِ له في قرارٍ من قراراتِهِ يدلُّ على ضَعفِهِ كمدير، وهذا غيرُ سديد، ففي هذا الحديث عبدٌ مخلوقٌ ضعيفٌ يحاوِرُ ربَّ العزةِ والجلال.

١٢. في الحديث النهيُ عن العَوْدِ في الهِبة، فإن الله لم يستجبْ لآدمَ حينما أراد أن يعودَ في هِبتِهِ.

١٣. جحودُ آدم وذرّيتُهُ وخطؤُهم ونسيانُهم أمرٌ جِبِلِّيٌّ جبَلَهم

اللهُ عليه، وليس هذا عيْباً بذاته، وإنما العيْبُ أن يُصِرُّوا على ذلك ويستمرّوا عليه.

١٤. دلَّ الحديثُ على انتقالِ الصفاتِ من الآباء إلى الأبناء، لقوله في الحديث: « **فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته** ».

١٥. يسعى المتخصِّصون في تطويرِ الذاتِ والعلومِ الإنسانية بصفةٍ عامة إلى وضعِ قواعد وأسسٍ لفَهمِ النفسِ البشرية، وإن أصدقَ القواعد المُسلَّمة ما كانت صادرةً من خالقِ هذه النفس سبحانه وتعالى، فهو الأعلمُ بها وما يُصلِحُها وما يصلُحُ لها، في الحديث: «**فجحد آدم وجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته**» فالجحودُ والنسيانُ والخطأُ صفةٌ بشريّة، ولذلك يجب أن نتعامَلَ معها وِفْقَ هذه القاعدة.

١٦. في الحديث إشارةٌ مشروعية كتابةِ العقودِ والمعاملاتِ وما يحتاج إلى توثيق، لأن الأصلَ في بني آدم هو النسيانُ والجحود، ولهذا كان هذا أمراً مستحبّاً في شريعتِنا.

***

الْقِصَّةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:

الرَّجُلُ الَّذِي أَلْقَى بِخَشَبَةٍ فِي الْبَحْرِ فِيهَا مَالٌ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِالله شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِالله كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلَا فَقُلْتُ: كَفَى بِالله كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِالله شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ

الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث بيانٌ لصفةٍ يتميّز بها الناجحون، وهي الثقة بالله سبحانه وتعالى والتوكل عليه، كما قيل:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى ... فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

وقال هنا: «**ائتني بالشهداء أشهدهم، كفى بالله شهيدًا، فأتني بالوكيل، كفى بالله وكيلا**».

٢. دلَّ الحديثُ على أن مَن رضي بالله أرضاه الله، فهذا الرجلُ لمّا رضي بالله شهيداً وبالله كفيلاً أرضاه اللهُ فأرجَعَ إليه مالَه.

٣. في الحديث دلالةٌ على توثقةِ الديون والمعاملات، وهذا أقطعُ للنزاع وأبعدُ عن الخصومة، طلبَ الرجلُ كفيلاً ثم طلب شهيداً، ثم

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٢٩٠)، وأحمد في مسنده برقم (٨٧٠٦).

حدّدَ الديْنَ إلى أجلٍ مسمّى، وهذا مما اتفقتْ عليه الشرائع، ففي شريعتنا قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾[1].

٤. في الحديث دلالةٌ على أن صاحب الحقّ إذا أسقطَ حقَّهُ فإنه يسقطُ شرعاً، لمّا أسقطَ الرجلُ الشهادةَ والكفالةَ سقطَ في حقه.

٥. في الحديث بيانٌ لخطورةِ الدَّيْن، وأن على عباد الله المتقين أن يسْعَوْا بكل وسيلةٍ لتخليص ذِمَمِهم، هذا الرجل الذي خلّده هذا الحديثُ التزَمَ بالوقتِ المُحدَّد، بل وسعى بكلّ وسيلة وأرسل وجاء بنفسه لِيسدِّدَ الدّيْنَ الذي استدانه.

٦. يبتعِدُ بعضُ الناس عن الدعاء، ويفتقِدُ آخرون روحَ الدعاء عندما يعتقدون أن الدعاء لا يكون إلا بعباراتٍ محدَّدة أو بعباراتٍ متكلَّفة أو بعباراتٍ مسجوعة، بل يظنُّ بعضُهم أنه لا بدّ أن يلتزم بالأدعية الواردة، وفي هذا الحديث كان من هذا الرجل المتوكِّلِ الذي نال مرادَه دعاءٌ واضحٌ ومباشرٌ قدَّمَ فيه حاجتَه فقال: «**اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلا فقلت: كفى بالله وكيلا...**» الدعاءَ.

(١) سورة البقرة:٢٨٢.

٧. يُشرع للمسلم أن يستودع اللهَ ما يخاف ضياعَه، والاستيداعُ هو أن يحفظَ له حاجتَه وما يخافُ عليه، قال الرجل في دعائه لله: « وإني أستودعكها ».

٨. في الحديث دلالةٌ على أن النية الصالحة بين المتعاقديْن لها أثرٌ على المعاملة بينهما، الرجل الذي استلف ألفاً جاء مرةً أخرى يدفعها خوفاً من أن يكون المبلغُ الأولُ لم يصِلْ لصاحبه، وصاحبُ الديْن ردَّ الألفَ الثانيةَ ولم يطمعْ بها.

٩. دلَّ الحديثُ على مشروعية الديْن والاستلافِ لمَن كان قادراً على السداد، ومَن أعطاه اللهُ سعةً من المال فعليه أن ينفعَ إخوانَه وأن يوسِّعَ عليهم.

١٠. المسلمُ مع تمامِ توكّله على الله لا يُهمل بذلَ الأسباب، فهذا الرجلُ مع تمامِ توكُّلِهِ على الله عز وجل إلا أنه لم يهملْ بذلَ السبب، فهو أخذَ خشبةً وسيلةً لنقلِ المال، ثم أيضاً لحفظِ المال نقَرَها فأدخلَ فيها الألف دينار.

١١. في الحديث إشارةٌ لعباد الله المتوكلين أن اللهَ أعظمُ وأكرمُ من أن يتركَ عبدًا توكَّلَ عليه، حتى ولو لم يأتِ بكمالِ التوكل، فهذا الرجلُ لم ينتظرْ الخشبةَ التي أرسلها متوكّلاً.

١٢. في الحديث تأكيدٌ لمعنى أن مَن أخذ أموالَ الناس يريد أداءها أدّى الله عنه، فالرجل لمّا كان عازماً على أداء الديون أدّى الله عنه وأعطاه زيادةً أن حفِظَ له الألفَ دينار الأخرى.

١٣. دلَّ الحديثُ على اقترابِ بعضِ الأخلاق كالإحسان والقناعة، فالأولُ أقرَضَ صاحبَه باذلاً مُحسِناً، وحينما وصلَهُ الوفاءُ لم يطمعْ بغيره، فالإحسان لا يصدُرُ إلا من نفسٍ راضيةٍ بما قسَمَ اللهُ لها.

١٤. دلَّ الحديثُ على تسخيرِ هذه المخلوقات كالبحر والريح والشجر لعباد الله الصالحين وأوليائه المؤمنين.

١٥. في الحديث أهميةُ أعمال القلوب وأثرها في جميع العبادات والمعاملات.

١٦. الحديث يؤكّد معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾(١)، فعلى الدعاةِ البحثُ عن أمَناء بني إسرائيل فهُم أقربُ للاستجابةِ والإسلام.

***

(١) سورة آل عمران:٧٥.

الْقِصَّةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:

عِيسَى عليه السلام وَالرَّجُلُ الَّذِي سَرَقَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنَيَّ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث تعظيمُ الأنبياء للحلف بالله، فعيسى بن مريم كذّبَ عيْنَهُ وصدَّقَ اليمين تعظيماً لله سبحانه وتعالى.

٢. رأى عيسى عليه السلام الرجلَ يسرق ومع هذا سأله: سرقت ؟ وفي هذا دلالةٌ على سؤال المُتَّهم حتى مع اعتقادِ صدقِكَ.

٣. في الحديث دلالةٌ على قبولِ عُذْرِ مَن اعتذَرَ، وهذا من سموّ الأخلاق ومن الأدب الرفيع.

٤. في الحديث دلالةٌ على أن مَن حُلِف له بالله فلْيرضَ، ففي الله غنىً عن كل شيء.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٤٤)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٦٨).

٥. دلَّ الحديثُ على لِينِ عيسى ﷺ مع المؤمنين، وعلى هذا ينبغي أن يكون المؤمنُ مع إخوانه.

٦. دلَّ الحديثُ على أن الأصلَ براءةُ الذمّة، فلما كان الأصلُ براءةَ الرجلِ من السرقةِ ثم نفاها قَبِلَ ذلك عيسى ﷺ.

٧. في الحديث دلالةٌ على أن الإنسان يُؤخَذ بظاهرِ أقوالِهِ إذا تعارضتْ أقوالَه مع أفعاله.

٨. يُستأنَسُ بهذا الحديث للقاعدة الفقهية: اليمينُ على مَن أنكر، فالرجل كان مُنكِراً ثم حلف.

٩. في الحديث أن التثبُّتَ من سُنن الأنبياء، ويتّضح ذلك في قوله: سرقت ؟ مُستفهماً.

١٠. الحديث دليلٌ على أن من الناس مَن يكون الله في قلبه أعظمَ من كل شيءٍ ومنهم الأنبياء ﷺ، وفي هذه القصة عيسى ﷺ كان اللهُ أعظمَ في قلبه من أن يظنّ أن إنساناً يحلِفُ بالله كاذباً، قال الإمام ابن القيم ؒ: والحق أن اللهَ كان في قلبِهِ أجلّ من أن يحلِفَ به أحدٌ كاذباً، فدارَ الأمرُ بين تُهمةِ الحالِفِ وتُهمةِ بصرِهِ، فردَّ التّهمةَ إلى بصرِهِ.

١١. وفي الحديث أيضاً الإشارةُ إلى إحسانِ الظنّ بالمؤمنين حتى

وإن كان الخطأُ منهم واضحاً وظاهراً، تتمِيماً للإخوّةِ الإيمانيّة وإحساناً للظنّ بهم.

١٢. الحديث دليلٌ أيضاً على أن من الناس مَن يرتكبُ المُوبقاتِ ويَسلَمُ في هذه الدنيا، ولكنّه لا يَسلَمُ عند الله حتى وإن سلِمَ من العقاب في الدنيا.

١٣. وفي الحديث دليلٌ أيضاً على أن من الناس مَن يبلغُ به الفجورُ أن يرتكبَ المُوبقاتِ أمامَ الناس ولا يستحي من ذلك، ويزيد ذلك فجوراً بأن يحلِفَ على أنه لم يفعلْ.

١٤. في الحديث أن حفظَ المال من الضروريّاتِ التي جاءت بها شرائعُ الأنبياء جميعاً، ومن هذا الحفظِ تحريمُ السرقة.

***

الْقِصَّةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فِيهَا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، قَالَ: فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. دلَّ الحديثُ على نعيمٍ آخَر وهو مُحادَثةُ أهلِ الجنةِ لربّهم بلا ترجمان، فالرجلُ قال لربه والله أجابَ له.

٢. في الحديث دليلٌ على إثباتِ صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، وأنه يكلِّمُ أهلَ الجنة.

٣. في الحديث أن بني آدم لا يتخلَّوْن عن رغباتِهم الدنيويّة المُباحةِ حتى بعد دخولهم الجنة.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٣٤٨)، وأحمد في مسنده برقم (١٠٧٩٢).

٤. دلَّ الحديثُ على صفةٍ جُبِلَ عليها ابنُ آدم وهي الطمعُ وطلبُ المزيد حتى وهو في جنةِ الخُلد، فكيف به وهو في دنيا الفناء والنقص ؟

٥. دلَّ الحديثُ على أن ما رُزِقَهُ العبدُ أكمل مما انتُقِصَ منه، لكنّ العبدَ لجهلِهِ وفقرِهِ تتعلّق هِمّتُهُ بما انتُقِصَ منه أكثرَ مما أعطِيَ، فالله قال للرجل: «**ألست فيما شئت؟**» يعني ما أنت فيه أكملُ مما انتُقِصَ منك.

٦. يا ابن آدم: ما دام خالقُكَ يصِفُكَ فيقول: « **فإنه لا يشبعك شيء** » فاجعلْ هذا التطلُّعَ في معالي الأمور، وفي بناءِ النفسِ للدنيا والآخرة.

٧. دوماً في مشاريعك سِرْ خطوةً فخطوةً، ولا تحرِقْ المراحلَ فتفشلَ وتُدمِّرَ ما بنيْتَهُ، في الحديث كان ربُّنا سبحانه وتعالى يستطيع أن يُعطِيَ الرجلَ الزرعَ في لحظة، ولكن «**فبذر فبادر الطرف**».

٨. دلَّ الحديثُ على أنه لا يوجَد في الجنة تعبٌ ولا نصب، فزَرْعُ هذا السائل بادرَ الطرف نباتاً واستواءً.

٩. الحديث دليلٌ على الاختلاف بين الدنيا وبين الجنة، كما قال

ابن عباس: لا يُشبِهُ شيءٌ ممّا في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء، فهذا الزرعُ صار كالجبال وهذا نادرٌ في الدنيا، وكان وقتُ زرعِهِ وحصادِهِ واستوائِهِ شيئاً يسيراً ممّا هو مختلِفٌ عن هذه الحياة الدنيا.

١٠. في الحديث دلالةٌ على سعةِ الجنة وعظمتِها، فزَرْعُ رجلٍ واحدٍ أصبح أمثالَ الجبال.

١١. في الحديث دلالةٌ على سعةِ كرَمِ الله، وأن كلَّ ما يشتهي أهلُ الجنة يؤتى إليهم به.

١٢. ما أعظمَ فضلَ ربنا وما أكرمَ ربنا وما أرحمَ ربنا، لو كان المسؤولُ أحدَ بني آدم لقال: هذا الرجل مُتَطَلِّب، أعطيه ويريد أكثر، ولكنّ ربَّنا سبحانه وتعالى يسأله عبدُهُ وهو في نعيم مقيم، ومع ذلك يعطيه ويكرمه.

١٣. من القصة الرابعة وحتى هذه القصة الثالثة عشرة كان الراوي واحداً وهو أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه، فيا الله: ما أعظمَ فضلَ هذا الرجل على هذه الأمة، حفِظَ لها حديثَ نبيِّها ﷺ، وما أعظمَ فضلَ صحابةِ رسول الله ﷺ، حقّاً لا ينتقِصُهُم إلا ناقصٌ، ولا ينتقِصُهُم إلا عدوٌّ يريد إفسادَ هذا الدين.

***

الْقِصَّةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ:

الرَّجُلُ الَّذِي قَتَلَ نَفْسَهُ فَحَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

عَنْ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَنَكَأَهَا فَلَمْ يَرْقَإِ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ رَبُّكُمْ: قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. أن قتلَ النفسِ محرّمٌ، بل من مُوجبات عذاب الله.

٢. أن العِبرةَ ليست في قصص الصالحين فقط، بل حتى في قصص المُقصِّرين، ففيها عبرة وعظة.

٣. لا يخرجُ الإنسانُ عن مسمّى العبودية حتى في لحظات التقصير، فهو عبدٌ لله وإن عصى.

٤. الإنسانُ عبدٌ، والسيّدُ اللهُ، ولا يملِكُ التصرُّفَ بنفسِهِ إلا بإذنه، وإن تصرَّفَ بغير إذنه عذَّبَهُ.

٥. في الحديث بيانٌ أن الذي حمَلَ الرجلَ على أن يُقدِمَ على قتلِ

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٦٣)، ومسلم في صحيحه برقم (١١٣).

نفسِهِ هو الجزَعُ، والجزَعُ ضدُّ الصبرِ، ولذلك كان الصبرُ محموداً في شريعتنا، وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة في فضل الصبر والحث عليه، وهو خيرُ عزاءٍ لأهل البلاء.

٦. الحديث دليلٌ على أن الحياةَ نعمةٌ، لكونِها فرصة للاستزادة من الصالحات والنجاة من النار، ولذلك اشتدَّ الوعيدُ على مَن يُقدِمُ على مثل هذا الفعل في آيات وأحاديث كثيرة.

٧. في الحديث دليلٌ على وجود الجنة، وأن هناكَ مَن يُحرَمُ منها بسبب أفعاله.

٨. الوعيد الوارد في هذا الحديث في حقِّ قاتلِ نفسِهِ من التخليد في النار كما جاء صريحاً في أحاديث أُخَر لا يعني الحُكمَ بكفرِهِ، بل هو مُسلِمٌ عاصٍ وأمره إلى الله تعالى، والخلود المذكور في هذا الحديث وغيره المقصود منه كما ذكر العلماءُ: طولُ المُكْثِ في جهنم جمعاً بين الحديث وبين النصوص الأخرى.

٩. الحديث دليلٌ على القاعدة الفقهية: (مَن استعجلَ شيئاً قبل أوانِهِ عُوقِبَ بحرمانِهِ)، فهذا الرجلُ استعجلَ الراحةَ فحرَّمَ اللهُ عليه الجنة فلم يَحْظ بمرادِهِ.

١٠. في الحديث دليلٌ على عظيم رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه، إذ حرَّمَ عليهم قتلَ أنفسهم وجعل ذلك من الكبائر وعاقبَهم عليه.

١١. الحديث دليلٌ على أن الأعمالَ بالخواتيم، إذ كان هذا العملُ آخِرَ عملٍ عمِلَهُ هذا الرجل، وكان هو سبباً في دخوله النار.

١٢. في الحديث دلالةٌ على عاقبةِ الجزَعِ وعدمِ الصبر، وأنه يُحقِّقُ للعبدِ غضبَ الله ما لم يتبْ العبدُ من ذلك.

١٣. دلَّ الحديثُ على ضرورةٍ من الضروريّاتِ الخمس التي جاءت الشرائعُ بحفظها، وهي ضرورةُ حفظ النفس.

***

الْقِصَّةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ:

الرَّجُلُ الَّذِي قَالَ لِأَوْلَادِهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذُرُّونِي فِي الرِّيحِ فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ»[1].

الْفَوَائِدُ:

١. الحديث دليلٌ على عظم أثر الذنوب على النفوس، وأنها تهلكها وتُبعِدُها عن رحمة الله عز وجل، ولذلك قال في الحديث: « يسرف على نفسه ».

٢. الحديث دليلٌ على حِلم الله سبحانه وتعالى على عبده، فالرجل كان مُسرِفاً على نفسِهِ بالمعاصي ومع هذا لم يأخذْهُ الله على غِرَّة.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٨١)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٥٦).
وفي الباب عن أبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وأبي مسعود البدري ﷺ.

٣. في الحديث دلالةٌ على أن أعمالَ القلوب أرفع وأعلى من أعمال الجوارح، فالرجل بلغَ به ما بلغَ خوفُهُ من الله، وهذا من أعمال القلوب.

٤. في الحديث دلالةٌ على طاعة المخلوقات لربها سبحانه وتعالى، إذ قال في الحديث: «**فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك، ففعلت**»، فكلُّ المخلوقاتِ طائعة لله.

٥. في الحديث بيانٌ لقدرةِ الله العظيمة على إعادةِ الأجساد بعد موتها، فسواءٌ بقِيَ الإنسانُ على هيئته ودُفِن أو سُحِق أو طُحِن أو أكلَهُ السبعُ أو الحوتُ أو أيُّ شيء فإن الله يُعيدُهُ كما كان، كما قال الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1].

٦. في الحديث دلالةٌ على سؤالِ الله لعبدِهِ وهو العليم الحكيم، وسؤالُهُ سؤالُ تقريرٍ لتكونَ حُجّةُ العبدِ من نفسِهِ، فاللهُ قال للرجل: «**ما حملك على ما صنعت؟**» يسألُهُ وهو العليم الحكيم، لتكونَ الحُجّةُ على العبدِ قائمةً.

٧. الحديث دليلٌ على أن الله لا يُعذّبُ أحداً إلا بعد العلمِ وإقامةِ

---

(١) سورة الروم:٢٧.

الحُجّة، فهذا الرجل قد جهِلَ صفةً من صفاتِ الله عز وجل، ومع ذلك عُذِرَ بجهلِهِ ولم يُعذَّبْ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(١).

٨. الحديث دليلٌ على سعة رحمة الله بعباده وتجاوزه عما يصدُرُ منهم بسبب الجهل أو النسيان أو الإكراه أو الإسراف على النفس بغَلَبةِ الهوى.

٩. استحبَّ أهلُ العلم أن يغلِبَ الرجاءُ الخوفَ في مواضع، ومنها موضعُ حضورِ الموت، حتى يلقى العبدُ ربَّهُ وهو مُحسِنٌ الظنَّ به، فمَن أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءه.

١٠. الحديث دليلٌ على أن مَن جهِلَ شيئاً من صفات الله عز وجل فإنه لا يكفُرُ بذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فهذا رجلٌ شكَّ في قدرةِ الله وفي إعادته، بل اعتقدَ أنه لا يُعاد، وهذا كفرٌ باتفاق المسلمين، لكنّه كان جاهلاً لا يعلمُ ذلك، وكان مؤمناً يخافُ اللهَ أن يُعاقِبَهُ فغُفِر له بذلك).

١١. الحديث دليلٌ على أن مَن أساء العملَ أورثَهُ ذلك إساءةَ الظنّ بربّه، فهذا الرجل لمّا أسرفَ على نفسه بالمعاصي ظنَّ أن اللهَ لا

---

(١) سورة الإسراء:١٥.

يغفرُ له، بعكسِ المؤمنِ العاملِ للصالحاتِ فإنه يتطلَّعُ لمغفرةِ الله، خصوصاً عند الموت.

١٢. في الحديث دليلٌ على أهميّةِ التوازنِ بين الخوفِ والرجاءِ، فإنما أُتِيَ هذا الرجلُ من طغيانِ خوفِهِ على رجائه.

١٣. دلَّ الحديثُ على أن المُسرِفَ على نفسه بالمعاصي يمضي عليه العمرُ ولا يشعرُ به، والسيئة تدعو أختَها، فيتفاجأ بحضورِ الأجل.

١٤. دلَّ الحديثُ على أن الإسرافَ على النفس بالمعاصي يفوِّتُ نصيبَها من العلم، فالرجلُ فاتَهُ العلمُ بالله وبقدرةِ الله نتيجةَ إسرافِهِ على نفسه بالمعاصي.

١٥. الحديث أصلٌ في فضل الخوف من الله، فالرجل إنما حصلتْ له المغفرةُ بسبَبِ خوفِهِ من ربِّهِ وامتلاءِ قلبِهِ بذلك.

١٦. دلَّ الحديثُ على أن لحظةَ الموت لحظةٌ عصيبة يُشفِقُ الإنسانُ فيها من معاصيه، ويخاف فيها من لقائه بربه.

١٧. فيه المبادرةُ بالتوبةِ قبلَ حضورِ الأجل، فالرجلُ إنما حمَلَهُ على ذلك إسرافُهُ على نفسه بالمعاصي.

***

الْقِصَّةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ:

إِنْظَارُ الْمُعْسِرِ سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللهَ - تَعَالَى - أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا! فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا! قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. الحديث دليلٌ على أن اللهَ عز وجل مُنزَّهٌ عن ظُلمِ عبادِهِ وأنه لا يظلمُ الناسَ شيئاً كما قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٤﴾(٢)، وقال: ﴿وَإِن كَانَ

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه النسائي في سننه برقم (٤٧٠٨)، وابن حبان في صحيحه برقم (٥٠٤٣)، والحاكم في مستدركه برقم (٢٢٣٦).

(٢) سورة يونس:٤٤.

﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾[1] فجازى هذا العبدَ بعد أن قال: «**لم يعمل خيراً قط**».

٢. في الحديث إشارةٌ إلى مشروعيّةِ الوَكالة.

٣. في الحديث إشارةٌ إلى مهارةٍ إداريّةٍ يتّصِفُ بها القادة، وهي التفويضُ المُتضمِّنُ للصلاحيّاتِ الحقيقيّة.

٤. الحديث دليلٌ على مشروعيّةِ الإقراضِ وأنه عملٌ صالح، وأن الله يُجازي عليه العبدَ في الآخرة.

٥. الحديث دليلٌ على فضل السّماحةِ في البيع والشراء والمقاضاة، كما جاء في الحديث: (**رحم الله امرءًا سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى**).

٦. الحديث دليلٌ على أن اللهَ رازقٌ، فالرجلُ لم يعملْ خيراً قطّ ومع هذا فالله رزَقَهُ المالَ يُداينُ به الناس، فالرزقُ لا يرتبط بالإيمان، بل الله يرزقُ حتى الكافر والمُسرف على نفسِهِ بالمعاصي.

٧. الحديث دليلٌ على أن البركةَ ليست في كثرة المال، فالرجلُ كان يعفو عن الناس ويتجاوز عنهم وهذا نقصٌ في ظاهر الأمر،

---

(١) سورة الأنبياء:٤٧.

لكنّه مالٌ مبارك، فهو الذي أوصلَهُ إلى أن تجاوَزَ الله عنه.

٨. في الحديث دلالةٌ على فضيلةِ عملٍ من أعمل القلب وهو الرجاء، فالرجلُ كان يرجو رحمةَ الله لقوله: «**لعل الله أن يتجاوز عنا**» فبلغ به الرجاءُ المَبلغَ الحسَن.

٩. في الحديث دلالةٌ على العاقبةِ الحسنى للإحسان للناس، فالرجل كان يُحسِنُ إلى الناس فكان عاقبةُ أمرِهِ حسنةً إذ غفرَ الله له.

١٠. في الحديث دلالةٌ على أن المؤمنَ عليه أن يجعلَ بينه وبين الله عملاً يرجو فيه مغفرة الله، فالرجل كان يُداينُ ويتجاوَزُ عن المُعسِر وكان يحتسِبُ بهذا العمل ابتغاءَ وجهِ الله فتجاوَزَ اللهُ عنه.

١١. في الحديث دلالةٌ على الرحمةِ بالمُعسِرين والتّجاوزِ عنهم، وأنهم بابٌ من أبواب مغفرةِ اللهِ للعبدِ إذا تقبَّلَ اللهُ عملَهُ.

١٢. الحديث دليلٌ على أن الرجاءَ الشرعيَّ هو ما كان معه عمل، فالرجل كان يعملُ ويتجاوَزُ عن الناس ثم يقول: لعلّ اللهَ أن يتجاوَزَ عنّا، فكان رجاؤه شرعيّاً.

١٣. دلَّ الحديثُ على أن مَن يأمرُ غيرَهُ بفعلِ الخير أنه يحصلُ له الأجرُ وإن لم يتولَّ ذلك بنفسه، فهذا الرجلُ عفا اللهُ عنه وإن كان لم

يباشِرْ العملَ بنفسِهِ بل أمرَ رسولَهُ وخادمَهُ أن يفعلَ هذا البرَّ والإحسانَ إلى الناس.

١٤. دلَّ الحديثُ على أن اليسيرَ من الحسنات إذا تقبَّلَهُ اللهُ وكانت النيّةُ خالصةً فيه يكفِّرُ الكثيرَ من السيئات، هذا الرجلُ عملَ عملاً واحداً ولم يعملْ غيرَهُ وكفَّرَ اللهُ عنه خطاياه.

١٥. نأخذُ من الحديث أنه لعلّ اللهَ أن يتجاوَزَ عن موظَّفٍ ييسِّرُ على مراجعيه وهو يرجو أن يتجاوز الله عنه، ولعلَّ اللهَ يتجاوَزُ عن معلّمٍ يتجاوزُ عن طلاّبه وهو يرجو أن يتجاوَزَ الله عنه ؛ فإن فضلَ الله واسع.

١٦. إن النجاحَ التجاريَّ المنشودَ لا يكون بمضاعفةِ الأرباح فقط أو بفنونِ التسويق الكاذبةِ أو حتى بالحرص على دقّةِ الحسابات، فإن هذا الرجلَ أثرى ومع ذلك كان شعاره: «**خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز**» وقد يكون هذا التركُ من رأس المال.

١٧. في الحديث دلالةٌ على أن الجزاءَ من جنسِ العمل، لمّا تجاوَزَ هذا الرجلُ عن المُعسِرِ تجاوَزَ اللهُ عنه، واللهُ أكرمُ من عبدِهِ.

***

الْقِصَّةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ:

الْمُذْنِبُ الَّذِي دَخَلَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَالْمُجْتَهِدُ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث إشارةٌ إلى أن من حقوقِ الأخوّةِ بين المُتآخييْن النصحَ فيما بينهما، فالرجلُ كان كثيراً ما يقول لأخيه المُذنب: أقصِرْ.

٢. من الحديث نأخذ: أن التعامُلَ مع أخطاء الناس يجب أن ينضبِطَ بالضوابط الشرعيّة، فهذا الرجلُ الذي يعصي هو مخطئ بهذه

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٩٠١)، وأحمد في مسنده برقم (٨٤٠٨).

المعصية وكذلك هو مخطئ حينما قال للناصح: «**أبعثت عليَّ رقيبًا؟**»، ولكنَّ الناصحَ أخطأَ بخطأ عظيمٍ وهو قوله: «**والله لا يغفر الله لك**».

٣. ما يُوجَّهُ للناصحين اليوم من قولهم: (لستُم وكلاءَ آدم على ذريّتِهِ) أو (لستُم رقباءَ على الناس) أو (اترُكوا الناسَ) هو قديمٌ جداً، وهو كقوله: «**أبعثت عليَّ رقيبًا؟**».

٤. دلَّ الحديثُ على أن من انتقص من جانب العِلم دخلَ عليه الخَلَلُ في جانب العبادة على قدْرِ انتقاصِ العلم، فالرجلُ حينما كان مجتهداً في العبادة لكنّه مُقصِّرٌ في العلمِ دخلَ عليه الخلَلُ من هذه الجهة، ولهذا حلفَ أن اللهَ لن يُدخِلَ أخاه الجنة.

٥. لا تتوقّفْ عن النصيحة أبداً، فالدينُ النصيحةُ وبالنصيحة تحيا المجتمعاتُ وتبقى، ولكنْ لا تتجاوزْ حدودَ النصيحةِ وآدابَها.

٦. لِنُحسنْ الظنَّ بالله دوماً ولْنقدِّمْ في نصيحتِنا حُسْنَ الظنّ، فالله تعالى قال: « **اذهب فادخل الجنة برحمتي** » لرجلٍ عصى وعصى.

٧. الحديث دليلٌ على سوء عاقبةِ الغضب، فإن هذا المُجتهدَ في العبادةِ لم يقلْ ما قال لذلك المُقصِّرِ إلا من غضبِهِ عليه حيث ردَّ نصيحتَه.

٨. في الحديث النهيُ عن احتقار المُذنبين وازدراء المُقصِّرين والمسرفين على أنفسهم بالمعاصي، سواء من الناصح نفسِه أو من غيره، فهذا الرجل كان مسرفًا على نفسه وكان يقال له: (أقصِرْ وأقصِرْ) وما زال مستمرّاً على المعاصي، ومع ذلك كان عند ربّ العالمين مغفوراً له.

٩. وفي الحديث أيضاً توجيهٌ للمُصلحين بالصبر على المَدعوّين فإنهم يضجَرون من الناصحِ، وعليه أن يختار الأصلحَ لِحالِهم وعليه بالرّفقِ في دعوتِهم ونُصحِهم.

١٠. وفي الحديث أيضاً بيانٌ أنه لا يجوز تقنيطُ الناسِ من رحمة الله، وأن على الناصح أن يُوازِنَ في نُصحِهِ بين الترغيبِ تارةً والترهيب أخرى.

١١. مهما رأيتَ من أفضال الله عليك ومهما اصطفاك الله بشيءٍ إلا أنك يجب أن تعلمَ حدودَك ولا تتجاوزَها «**أكنت بي عالمًا أو كنت على ما في يدي قادرًا؟**».

١٢. في قوله: «**أكنت بي عالمًا**» بيانٌ أنه لا يحيطُ بالله عز وجل ولا بصفاتِهِ أحدٌ من البشر.

١٣. في الحديث دلالةٌ على فِقهِ الذنوب وأن الذنبَ يعظُمُ عند الله إذا كان يُعارِضُ أصلَ عبوديّةِ العبد، فعبوديّةُ العبدِ أن يستسلِمَ الإنسانُ لله، فلما قال الرجل: «**لا يدخلك الله الجنة، لا يغفر الله لك**» كان هذا الذنبُ يُعارِضُ العبوديّةَ وتدخُّلاً في أحكام المِلكِ عز وجل، ولهذا غضِبَ اللهُ عليه فأدخله النار.

١٤. في الحديث خطورةُ القولِ على اللهِ بلا علمٍ، وأنه من كبائر الذنوب ومن أسباب سخط الله وعذابه.

١٥. في الحديث خطورةُ التألّي على الله بأحكامه على عباده بالرحمة والمغفرة أو العذاب والعقوبة، فهذا من خصائص الربوبية التي اختصّ بها سبحانه وتعالى.

١٦. في الحديث أن مَن اجتهدَ في عملٍ معيَّنٍ لا يلزمُ منه إتقانُ بقيّةِ الأعمالِ ومعرفتِها والحكمِ عليها، فهذا العابدُ اجتهدَ في العبادةِ والتألُّهِ وليس له معرفة بالعلم، ولذلك وقعَ في الغلطِ والسخطِ من الله لّما تكلَّمَ فيما لم يجتهدْ فيه ولم يعرفْ طُرُقَهُ ومَسالِكَه.

١٧. دلَّ الحديثُ على أنه لا يُحكَم لأحدٍ مُعيَّنٍ بجنةٍ ولا نار، لأن هذا حقُّ لله سبحانه وتعالى ومن خصائص ربوبيّتِهِ، ومَن نازَعَهُ هلَكَ.

١٨. في الحديث التحذيرُ من تنفيرِ الناس عن الدين والطاعة حالَ أمرِهم بالمعروف ونهيِهم عن المنكر.

١٩. دلَّ الحديثُ على أن اللهَ إذا شاء أن يغفرَ لعبدٍ غفرَ له بلا توبةٍ كما غفرَ لهذا الرجل بلا توبة، وهذه هي عقيدةُ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ أن صاحبَ الذنبِ والكبيرةِ سوى الشرك فإنه تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء أخذه بذنبه.

٢٠. في الحديث بيانٌ أن الإنسانَ قد يكون مجتهدًا في العبادة ولكنّه لا يحذَرُ من إطلاق لسانه، فقد قال هذا الرجلُ المجتهدُ في العبادة كلمةً أوبقَتْ عليه آخرتَهُ، حيث قيل له: «**اذهبوا به إلى النار**» بسببِ هذه الكلمة.

***

الْقِصَّةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ:

الْمَرْأَتَانِ اللَّتَانِ تَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عليهما السلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عليه السلام فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عليهما السلام فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دلالةٌ على حاجة الناس للقضاء ليحكم بينهم، وهو دليلٌ على جهل الإنسان وظلمه؛ إذ لولا الجهلُ والظلمُ لَمَا وقعَ التخاصُمُ.

٢. في الحديث دلالةٌ على أنه مع هَوْلِ المصيبة قد يذهلُ الإنسانُ فيأخذ حقَّ غيرِهِ، وهذا لِفَواتِ عملِ الرضا القلبي، فمع المصيبة على الإنسان أن يرضى بقضاء الله وقدَره، فالمرأةُ الكبرى حينما ذهب

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٢٧)، ومسلم في صحيحه برقم (١٧٢٠).

الذئبُ بابنِها ووقعتْ هذه المصيبة ذهلتْ فأخذَتْ حقَّ غيرها.

٣. في الحديث دلالةٌ على حضور مجلس القضاء وأن هذا من أساليب تعليمِ الحكمة والفقه، فقد كان سليمانُ كثيرَ الحضور عند والده داود في مجلس القضاء، حتى استفادَ من علمه وحكمته.

٤. الحديث دليلٌ على أن الحُكمَ في القضاء يكون للأقوى في الحُجّةِ وليس للأصوب في الحق، فعلى المتخاصميْن أن يتّقِيا الله، ولهذا حكمَ داودُ ﷺ للكبرى لأنها كانت ألحنَ وأقوى في حجّتِها.

٥. في الحديث جوازُ استخدامِ القاضي لبعضِ الحِيَلِ لمعرفةِ الحقّ، قال: « **ائتوني بسكين أشقه بينكما** ».

٦. في الحديث شفقةُ الأمِّ على ابنِها لدرجة أنها قد تُؤثِرُ التخلّي عنه من أجل سلامته.

٧. «**لا تفعل يرحمك الله هو ابنها**» ما أعظمَ فضلَ والدِينا علينا، ومهما بذلْنا وقدَّمْنا ورأيْنا من برِّنا بآبائنا وأمهاتِنا فلن نصلَ إلى عُشْرِ ما قدَّموه لنا، يعرفُ هذا حقَّ المعرفة مَن أصبحَ أباً ورأى ما يبذل الأبُ والأمُّ من أجل أبنائهم وبناتهم.

٨. في الحديث إشارةٌ مهمّة إلى قاعدةٍ مهمّة في باب المصالح

والمفاسد وهي قاعدة: (ارتكاب أخف الضررين) فإن هذه المرأةَ من حِكمتها أنها وازَنَتْ بين فَقدِها لابنِها وبين موتِهِ وهلاكِهِ، فقدَّمَتْ فَقدَها لابنِها على موتِهِ، وهذا من حِكمتها.

٩. في الحديث أن القاضيَ المجتهدَ قد يُصيب وقد يُخطئ في حُكمِهِ، وللمُتحاكِميْن أو أحدهما أن يطلبَ التقاضيَ عند قاضٍ آخَر.

١٠. في الحديث دلالةٌ على استعمالِ القاضي للقرائن في حُكمِهِ بين الناس، فقد استعملَ سليمانُ بن داود عاطفةَ الأمومةِ وجعلها قرينةً على إصابةِ الحق.

١١. يُورِدُ أهلُ التفسير هذا الحديثَ عند قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾(١) لبيانِ ما كان عليه نبيُّ الله سليمان ﷺ من العِلمِ والحكمةِ والحذقِ.

١٢. في الحديث دلالةٌ على إصابةِ المفضول للحقّ دون الفاضل، فقد كان سليمانُ مفضولاً بالنسبة لداود ﷺ ومع هذا أصابَ الحقَّ، فالحقُّ بالعِلمِ لا بالسِّنّ.

---

(١) سورة الأنبياء:٧٩.

١٣. في الحديث دلالةٌ على أن الاجتهادَ يُنقَضُ إذا كان في مجلس القضاء والاجتهاد، فقد نُقِضَ حُكمُ داود بعد قضاءِ سليمان عليه السلام.

١٤. في الحديث دلالةٌ على أن مَن حَكَمَ باجتهادٍ بعد بذلِ الوُسْعِ في العِلمِ فإنه لا يقعُ عليه لَوْمٌ، ولهذا لم يقعْ لَوْمٌ على داود مع أن حُكمَ سليمان كان أصوبَ للحقِّ منه.

١٥. هل نجحَ سليمانُ ولم ينجحْ داود عليه السلام ؟ ليس كذلك أبداً، لأن نجاحَ سليمان هو نجاحٌ لداود عليه السلام، فالابنُ من الأبِ وسليمان عليه السلام هو خرّيجُ مدرسةِ داود.

١٦. في الحديث بيانٌ لِكمالِ شخصيّةِ أنبياءِ الله عليهم السلام، وحُسْنِ تربيةِ نبيِّ الله داود لابنِهِ نبيّ الله سليمان، فمقامُ الأبوّةِ والبرِّ لم يمنعْ سليمانَ عليه السلام من قوْلِ الحقِّ وتصحيحِ الخطأ.

***

القِصَّةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ:

الْمَرْأَةُ الْقَصِيرَةُ وَالْمَرْأَتَانِ الطَّوِيلَتَانِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ وَخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ مُغْلَقٌ مُطْبَقٌ، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ، فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. دلَّ الحديثُ على خطورة التزوير وأنه من عاداتِ نساءِ بني إسرائيل، فالمرأة لبسَتْ رِجليْن من خشبٍ تزويراً لها بالطول.

٢. في الحديث إشارةٌ إلى التحذير من عدم الرضا بالهيئةِ والشكلِ الذي خلقكَ اللهُ عليه ؛ إذ أنه سبحانه وتعالى هو أحسن الخالقين، فالمرأة خلقها اللهُ قصيرةً في الحديث فلم ترْضَ حتى زوَّرَتْ رِجليْن من خشب، ومن رضِيَ بالله ربّاً فليَرْضَ بالهيئةِ التي خلقه اللهُ عليها.

٣. في الحديث إشارةٌ إلى أن مَن لم يَرْضَ بالهيئةِ التي خلقه اللهُ عليها فإنه سيُسْرِفُ في بذل الأموال، فالله خلقَ هذه المرأة قصيرةً فلما

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٥٢).

لم ترْضَ بَذَلت من الأموال الكثيرَ لأجل أن تصنعَ لها رِجلين من خشبٍ تسيرُ بهما سويّةً بين الناس، وكذلك في زمانِنا من لم يَرْضَ بالوجهِ الذي خلقه اللهُ والأنفِ الذي اختاره اللهُ له، والشكلِ الذي اختاره اللهُ له فكثيراً ما تعودُ أموالُهُ عليه بالخسارة في تتبُّعِ عمليّاتِ التجميل.

٤. ممّا يُعِينُ على الرضا وعدمِ ازدراءِ النِّعمِ أن لا يُحِيطَ الإنسانُ نفسَهُ بمَن يفوقُهُ في دنياه، بل يحيطُ نفسه بمَن يفوقُهُ في دينه، حتى يُنافسَ مَن يُقتدى بهم.

٥. في الحديث أن مُنكَراتِ القلوب تُسبِّبُ مُنكَرات الأعمال، فالمرأةُ وقعتْ في مرضٍ قلبيٍّ وهو عدمُ الرضا بخلْقِ الله لها، وسَبَّب هذا أفعالاً منكَرة من تغييرِ لِخلقِ الله وإظهارِ الزينةِ وازدراءِ الغير.

٦. في الحديث دلالةٌ على أن المِسْكَ هو أطيَبُ الطّيبِ، وقد كان هو طِيبَ النبيّ ﷺ، ويضعُهُ النبيُّ ﷺ في مَفرِقِ رأسِهِ وعلى لحيتِهِ كما حكَتْ عائشةُ ذلك رضي الله عنها.

٧. في الحديث إشارةٌ إلى ما كانت عليه نساءُ بني إسرائيل من فتنة الرجال، فالمرأة قالت بيدها هكذا ليفوحَ منها رائحةُ المسك، ولهذا حذّر النبي ﷺ هذه الأمة من فتنة النساء.

٨. الحرص على جَذْبِ أنظارِ الناس إلى الإنسان دليلٌ على نقصٍ في قلبه، فالمرأةُ حينما عاشتْ مرضَ النقصِ حاولتْ جذبَ انتباهِ الناسِ عن طريقِ تركيبِ أرجلٍ خشبيّةٍ، وكان الأجدَرُ بها أن ترضى بما كتبَهُ الله.

٩. في الحديث إشارةٌ إلى أن مرضَ البذخِ والإسرافِ يجرُّ بعضُهُ بعضاً، فمَن بذخَ وأسرفَ في لبسِهِ بذخَ وأسرفَ في مركبِهِ وفي بيتِهِ وفي هيئتِهِ، فالمرأةُ لمّا أسرفتْ وبذختْ في رِجليْن من خشبٍ بذَختْ أيضاً في عِطرِها، فالبذخُ والإسرافُ مرضٌ يستشري إلى بقيّة الأعضاء.



الْقِصَّةُ الْعِشْرُونَ:

سُلَيْمَانُ ﷺ وَسُؤَالُهُ رَبَّهُ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ﷺ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالًا ثَلَاثَةً؟ سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ: مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ: أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ، أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ، كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث مكانةُ المساجد في الإسلام وأهميتها، فنبيُّ الله سليمان ﷺ بنى بيتَ المقدس، وإبراهيم وابنه إسماعيل ﷺ بنيا البيتَ الحرام، ومحمد ﷺ بنى المسجد النبوي.

٢. في الحديث أنَّ من مواطنِ الدعاء وإجابةِ الدعاء أن يكون بعد عملٍ صالح، فسليمان ﷺ لمّا بنى بيتَ المقدس دعا الله عز وجل.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه النسائي في سننه برقم (٦٩٢)، وابن ماجه في سننه برقم (١٤٠٨)، وابن حبان في صحيحه برقم (١٦٣٣)، والحاكم في مستدركه برقم (٣٦٤٥).

٣. في الحديث دلالةٌ على عبوديّةِ الأنبياء لله جل وعلا، وأنَّهم يُكثِرون من الدعاءِ لله في جميعِ أحوالهم.

٤. وفي الحديث عظيمُ محبةِ هذا النبيِّ الكريمِ لله عز وجل، فلم يسألْ اللهَ الإصابةَ في الحقّ في حُكمِهِ بل سألَ أن يكون أرفعَ من ذلك بأن يُوافِقَ حُكمُهُ حُكمَ اللهِ عز وجل.

٥. في الحديث جوازُ سؤالِ الله عز وجل من خير الدنيا، فسليمانُ ﷺ سأل اللهَ حُكماً ومُلْكاً.

٦. في الحديث دلالةٌ على فضل الإخلاص، وأن عليه مدار الأعمال لقوله: «**لا ينهزه إلا الصلاة فيه**» أي: أنه لا يريدُ إلا الصلاة، وهذا تجريدٌ للنيّةِ لله، فكان الجزاءُ أن كُفِّرَتْ عنه سيئاتُهُ.

٧. في الحديث رحمةُ الأنبياء بالمؤمنين وتمنّي الخير والمغفرة لهم، فسليمان ﷺ سأل الله لكلِّ مَن أتى بيتَ المقدس يريدُ الصلاةَ أن يُخرِجَهُ من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

٨. في الحديث دلالةٌ على فضل الصلاة في المسجد الأقصى، وأن مَن صلّى فيه رُجِيَ له أن يُخرجَهُ اللهُ من خطيئتِهِ كيوم ولدته أمه.

٩. في الحديث دلالةٌ على أن الصلاةَ في المسجد الأقصى تكفِّر

السيئات، وهذا بخلاف الصلاة في المسجدْين المسجد الحرام والمسجد النبوي إذ أنه تُضاعَفُ فيهما الحسنات، وما ضُوعِفتْ فيه الحسناتُ أعلى وأرفع مما كُفِّرَتْ فيه السيئات.

١٠. في الحديث مشروعيّةُ الدعاءِ للنفس أولاً ثم الدعاء لعموم المسلمين، فسليمان ﷺ دعا ثلاثة أدعية الأول والثاني له، والثالث للمسلمين عموماً.


***

الْقِصَّةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:

الذِّئْبُ الَّذِي كَلَّمَ الرَّاعِي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ، عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟ وَبَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ" قَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ»[1].

الْفَوَائِدُ:

١. أكرمَ اللهُ عز وجل الإنسانَ بتسخيرِ بعضِ الحيوانات لخدمتِهِ، ولكنّ هذا لا يعني أن يطغى الإنسان أو أن يحمِّلَ هذه الحيوانات ما لا تحتمل، أو أن يستخدمَها في غير ما سُخِّرتْ له.

٢. في الحديث دلالةٌ على أن استعمالَ الشيءِ فيما خُلقَ له عدلٌ، واستعمالَهُ في غير ما خُلِقَ له ظلمٌ، لمّا استعمِلَتْ البقرةُ للحملِ تكلَّمَتْ، وكذلك أعضاء الإنسان مَن استعمَلَها في غير ما خُلِقَ لها

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٦٦٣)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٨٨).

فقد ظلَمَها، فمَن استعمَلَ العيْنَ في غير النظرِ والاعتبارِ فقد ظلَمَ، ومَن استعمَلَ اللسانَ في غير ذكر الله فقد ظلَمَ، ومَن استعمَلَ القلبَ في غير معرفةِ الله ومحبةِ الله وعبوديّتِهِ فقد ظلَمَ، وكذلك الحياة كلُّها مَن استعملها في غير عبودية الله فقد ظلَمَها.

٣. في الحديث أن مَن صلحَ لأمرٍ ما لا يلزمُ صلاحُهُ لأمرٍ آخَر، فهذه البقرةُ خلقَها الله للحرث واللبن واللحم، ولا يلزمُ من تعدُّدِ منافعِها استعمالُها للحمل والركوب لأنها لا تطيقه.

٤. قوله في الحديث: «من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري» استدلّ به أهلُ العلم على أنه في آخِرِ الزمان تكثرُ الفِتَنُ فينشغل الإنسانُ عن غنَمِهِ ومالِهِ، ولهذا جاء في السُّنّة أن الإنسان عليه أن يستعيذ بالله من شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن.

٥. حينما تكلّمتْ هذه البقرةُ ودافعتْ عن نفسها دلَّ هذا على أن مَن كلَّفَ هذه البهائمَ غير طاقتِها أو ضرَبَها بغير حقٍّ أو ظلمَها فإنها تقتصُّ منه يوم القيامة.

٦. في الحديث إشارةٌ إلى وجوب معرفة الحكمة التي خُلقت من أجلها الأشياء كما خُلقت البقرة للحرث والإنسان للعبادة، ومن الخطأ والظلم أن يُسخَّرَ كلُّ مخلوقٍ لغير ما خُلِقَ له، وأن لا تقومَ النفسُ بما أوجبَ اللهُ عليها وخلقها له.

٧. في قول الذئب للراعي: (يوم ليس لها راع غيري) تذكيرٌ للراعي بما أبقى اللهُ له من نعم فإنه سيأتي على الناس زمانٌ يذهَلون عن أموالهم.

٨. في هذا الحديثِ وأمثاله يُربِّي المؤمنُ نفسَهُ على التصديق والتسليم لأخبار الله عز وجل وأخبار نبيه ﷺ، وما المانع من نُطْقِ هذه الحيوانات إذا شاء ذلك خالقُها الذي متى ما شاء أنطقَ الجمادات وما لا نعلمُ لُغتَهُ من الحيوانات ؟

٩. في الحديث إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾(٢) فالبهائمُ لها لغاتٌ تتواصَلُ بها فيما بينها ولا يطّلِعُ عليها إلا مَن أطلَعَهُ الله على ذلك.

١٠. في الحديث دلالةٌ على ارتباط المؤمن بذكر الله، فإن استعجَبَ شيئاً قال: سبحان الله ! كما قال الصحابة في هذا الحديث، وإن استعظم شيئاً قال: الله أكبر، وإن أعجبَهُ شيءٌ ذكَرَ الله، وإن أصابتْهُ مصيبةٌ استرجَعَ لله، فالمؤمنُ مُرتبِطٌ بذِكْرِ الله.

١١. قولُ الناسِ للنبي ﷺ لّما قصَّ عليهم هذا الخبر: (سبحان الله !) دليلٌ على أن أفهامَ الناس وإيمانَهم يتفاوتان.

---

(١) سورة الأنعام:٣٨.

(٢) سورة الإسراء:٤٤.

١٢. في قوله ﷺ: «**فإني أؤمن بذلك**» إشارةٌ إلى التكليف الشرعيّ تجاهَ الأخبار في الكتاب والسُّنَّة، والتكليفُ هنا هو الإيمان والتصديق.

١٣. في هذا الحديث مَنقَبةٌ عظيمةٌ للصدّيق أبي بكر والفاروق عمر رضي الله عنهما، حيث خصَّهما النبيُّ ﷺ بشهادته لهما بالإيمان بمثلِ ما آمَنَ به النبيُّ ﷺ.

١٤. في الحديث دلالةٌ على اختلافِ مراتب الصحابة رضي الله عنهم في الفضل، فقد بدأ النبيُّ ﷺ بأبي بكر قبل عمر، وقد نصَّ النبيُّ ﷺ على أبي بكر وعمر دونَ بقيّةِ الصحابة.

١٥. في الحديث دلالةٌ على تخصيصِ بعضِ الأصحابِ دونَ بعض في الفضل والثناء، فالنبيُّ ﷺ خصَّ أبا بكر وعمر دون غيرهما، وليس ذلك انتقاصاً للغير إنما لقوّةِ إيمانِ أبي بكر وعمر.

١٦. في الحديث إشارةٌ إلى أنه ينبغي على المعلّم والمربّي أن يعرفَ أتباعَهُ على وجهِ الخصوصِ وما يتميّزون به ويُثني عليهم بذلك.

١٧. وفي الحديث إشارةٌ إلى أن على المُربّي والمعلّم أن يُبرِزَ بعضَ الصفاتِ الحميدةِ في بعضِ طلاّبِهِ وأتباعِهِ إما لفضلهم، أو ليقتديَ بهم غيرُهم، أو لوجودِها فيهم أكثرَ من غيرهم.

الْقِصَّةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:

الرَّجُلُ الَّذِي تَصَدَّقَ عَلَى سَارِقٍ وَزَانِيَةٍ وَغَنِيٍّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ، تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ، أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. «قال رجل» هكذا وصفَهُ النبيُّ ﷺ بلا ذكرٍ لاسمِهِ، رحلَ هذا الرجلُ من الدنيا وبقِيَ فعلُهُ مضربَ مثلٍ ومحلَّ عبرةٍ.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٤٢١)، ومسلم في صحيحه برقم (١٠٢٢).

٢. دلَّ الحديثُ على تحديث النفس بالخير وتعزيم الإنسان لنفسه، قال الرجل: لأتصدَّقنَّ، اللام والنون للتوكيد، وهذا مما يُعين على فعل الخيرات أن يعزمَ الإنسانُ على نفسه.

٣. دلَّ الحديثُ على إخفاءِ الأعمال وأن ذلك أدعى لقبولها، قال الرجلُ في الحالات الثلاث: « **لأتصدقنَّ الليلة** » وذَكَرَ الليلَ لأنه أبعدُ عن رؤيةِ الناس.

٤. «**فأصبحوا يتحدثون**» هكذا وصفَ النبيُّ ﷺ حالَهم، ومنه اعلمْ أنك إن عملتَ فهناك من الناس مَن سيتحدَّثون ويُحلِّلون وقد يظلِمون ويُسيؤون الظنون، المهمّ أن يكونَ فعلُكَ صحيحاً ونيّتُكَ سليمةً.

٥. في الحديث دلالةٌ على حَمْدِ الله على كل حال، وهو دلالةٌ على ارتباطِ المؤمن بحَمدِ الله والرضا بقضائهِ وقدَرِهِ، فالرجلُ في الحالاتِ الثلاث كان يقول: «**اللهم لك الحمد**».

٦. دلَّ الحديثُ على أن الصدقةَ لا تأتي إلا بخير، تُصدِّقَ على زانٍ وسارق، قال: لعله أن يستعفّ، وتُصدِّق على غنيّ، قال: لعله أن يعتبر، وهذا من علوِّ شأنِ الصدقة.

٧. نأخذُ من الحديث أن النصيحةَ ليست دائماً بالكلام، فقد يكون إيصالُ النصيحةِ بالتعامُلِ الذي يحملُ داخلَهُ رسالةَ التوجيهِ الصادقةِ.

٨. دلَّ الحديثُ على أن الصدقة علاجٌ لفساد المجتمعات، فالمجتمعُ الذي تنتشِرُ فيه السرقةُ والزنا والبخلُ يُعالَج بكثرةِ الصدقات إرضاءً لله سبحانه وتعالى.

٩. في الحديث بركةُ النيّةِ الصالحةِ، فإن المُتصدِّقَ إنما يرجو إصلاحَ دنيا المُتصدَّقِ عليه، فتتجاوَزَ نيّتَهُ إلى إصلاحِ دينِهِ ودنياه.

١٠. من أعمال القلوب التي اتّصف بها هذا المتصدق: عظيمُ رضاه بقضاء الله وقدَره، ويدلُّ عليه تكرارُهُ للحمدِ مع ظنّه أنه أخطأَ لمّا عمِلَ، ومع ذلك كان يكرِّرُ الحمدَ في كل مرة.

١١. دلَّ الحديثُ على أن الناسَ إنما يحكُمون على ظواهر الأمور والله حكيمٌ سبحانه وتعالى، فالناس يتحدّثون أنه تُصدِّقَ على زانٍ وسارقٍ وغنيٍّ، والله يريدُ إعفافَ هؤلاء عن معاصيهم وذنوبهم، فالحمدُ لله على حكمته.

١٢. دلَّ الحديثُ على أن مَن أخفى عملَهُ فالله يُظهِرُهُ إذا شاء إظهارَه، فالرجل كان يتصدّقُ بالليل سرّاً والناسُ يتحدّثون نهاراً،

وهذا من بركةِ الإخلاص على صاحبه.

١٣. في قوله: «**فأُتي فقيل له**» إشارةٌ إلى عاجل بشرى المؤمن، فإن اللهَ يريهِ بعضَ آثار عمله في الدنيا، وما عند الله خيرٌ وأبقى.

١٤. تكرَّرَ في الحديث (لعله) فقال في السارق: «**لعله أن يستعف**» وفي الزانية: «**لعلها أن تستعف**» وفي الغني: «**لعله أن يعتبر**» وهذا دليلٌ على اعتبار الظنِّ في الأعمال الصالحة، فالكلمةُ لعلَّ اللهَ أن ينفعَ بها، والخيرُ لعلَّ اللهَ أن يُعمِّمَهُ، والإحسانُ لعلَّ اللهَ أن يدحرَ به شرّاً، والدعوةُ لعلّ الله أن يهديَ بها ضالاً.

١٥. في الحديث أن المسلِمَ مهما فعل من الذنب فهو قريبٌ من الخير ولا يقنطُ من توبته، قال في الحديث عن السارق: «**لعله أن يستعف عن السرقة**» وفي الزانية: «**لعلها أن تستعف عن زناها**» والغني الذي لا ينفق: «**لعله يعتبر فينفق**».

١٦. في الحديث أن الفقرَ والحاجةَ من أسباب فسادِ المجتمعات، لذلك شرعَ اللهُ الزكاةَ والصدقةَ والكفّاراتِ والأضحيةَ والهديَ وغيرَها من أسباب النفقات.

***

الْقِصَّةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ:

سُلَيْمَانُ ﷺ وَطَوَافُهُ عَلَى مِئَةِ امْرَأَةٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهَا تَأْتِي بِفَارِسٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، فَجَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. قول سليمان ﷺ : «**لأطوفن الليلة على مئة امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله**» فيه النيّة الصالحة من الوالد لذريّتِهِ، وهكذا ينبغي على الآباء أن يعرفوا هدفَهم من الذريّة، ويتّخذوهم مشاريعَ صالحةً في الحياة فيمتدّ أجرُهم للوالد.

٢. الحديث دليلٌ على أن تعدُّدَ الزوجاتِ من شرائع الأنبياء، فقد كان لسليمان ﷺ مئة امرأة، وكان للنبيّ ﷺ أكثرُ من زوجة.

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٦٣٩)، ومسلم في صحيحه برقم (١٦٥٤).

٣. الحديث دليلٌ على ما أوتي الأنبياء ﷺ من القوة البدنيّةِ التي تتناسَبُ مع ما حُمِّلوا من الرسالة السماوية، سليمان بن داود عليه السلام يطوف في ليلةٍ واحدةٍ على مئةِ امرأة، والنبي ﷺ أوتي من القوة أكثر من قوة رجل.

٤. دلَّ الحديثُ على أنه يجوز للرجل المُعدِّدِ إتيانُ زوجاته في ليلة واحدة، وقد فعل ذلك نبيُّ الله سليمان كما في الحديث، وفعلَه النبي ﷺ، فدلَّ ذلك على أن إتيانَ الزوجاتِ لا يدخلُ في القَسْمِ الواجبِ بينهنّ.

٥. دلَّ الحديثُ على أنه يجوز للإنسان أحياناً أن يُعلِمَ بما في ضميره وأن يَذْكُر نيّتَهُ، قال سليمان: «**كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله**» فهذا ما يدورُ في خلَدِهِ وفي نيّتِهِ، أخبرَ به ليجد أعواناً له على الخير، وليربّيَ أتباعَهُ على ذلك.

٦. في الحديث فضل الجهاد ومكانته عند الأنبياء، فهذا نبي الله سليمان بن داود تمنى أن يكون له مئةٌ من الولد كلّهم يجاهدون في سبيل الله.

٧. دلَّ الحديثُ على أن الأنبياء ﷺ يشاركون الناسَ في الأعمال ظاهراً لكنّهم يختلفون عنهم في النيّة الصالحة، فسليمان يطلب الولدُ

مثلما يطلبُ غيرُهُ لكنّه يطلبُ ولداً يجاهِدُ في سبيل الله.

٨. فيه دلالةٌ على تذكير الصاحبِ لصاحبِهِ، وأن من حقوق الصحبةِ التذكيرُ بذِكرِ الله، قال في الحديث: «**قال له صاحبه: قل إن شاء الله**».

٩. في الحديث دليلٌ على جوازِ الاستثناء بعد اليمين، فإذا حلفَ الإنسانُ جازَ له بعد ذلك أن يقول: (إن شاء الله) ولا شيءَ عليه.

١٠. الحديث دليلٌ على فضل قول إن شاء الله، وأن قائلَها يُدرِكُ حاجتَهُ، لقوله: «**كان دركًا لحاجته**».

١١. الحديث دليلٌ على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن مَن لم يرتبطْ بمشيئة الله سبحانه وتعالى لم يُعَنْ على حاجته ولو كان نبيّاً، وذلك لأن الله هو الملكُ الحقُّ المبين.

١٢. في الحديث جوازُ الحلِفِ لبيانِ العلم وتأكيده، ففي هذا الحديث حلفَ النبيُّ ﷺ بقوله: «**والذي نفس محمد بيده**» وهي من الصيغ التي كان يستخدمها النبي ﷺ.

١٣. دلَّ الحديثُ على أن مَن قال في حلفِهِ (إن شاء الله) لم يحنثْ، وذلك لقول النبيّ ﷺ: «**لو قال إن شاء الله لم يحنث**».

١٤. في الحديث أن الإنسانَ قد يبذلُ جميعَ الأسباب لنيْلِ حاجتِهِ ومُرادِهِ، ولكنّ الله لا يقدِّر له ذلك، فسليمان عليه السلام بذلَ هذا السببَ ولم يُرزَقْ إلا بشقِّ إنسان.

***

الْقِصَّةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ:

رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْعِفْرِيتُ الَّذِي تَفَلَّتَ عَلَيْهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللهَ أَمْكَنَنِي مِنْهُ فَذَعَتُّهُ، فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ - أَوْ كُلُّكُمْ -، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾(١) فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا»(٢).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دليلٌ على وجود الجنّ، وأن منهم عفاريت يجتهدون في إضلال الناس وإفساد عباداتهم.

٢. في الحديث دلالةٌ على اختلاف أصناف الجنّ، فقد نسَبَ التفلُّتَ في الحديث إلى صنفٍ منهم فقال: «إن عفريتًا من الجن».

٣. وفي الحديث بيانٌ أن الشياطينَ مراتب، فمنهم الجنيُّ ومنهم

---

(١) سورة ص:٣٥.

(٢) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٦١)، ومسلم في صحيحه برقم (٥٤١)، وفي الباب عن أبي الدرداء ﵁.

العامرُ، ومنهم الخبيثُ، ومنهم الماردُ، وأشد ذلك هو العفريت الذي تفلَّت عليه ﷺ.

٤. دلَّ الحديثُ على أن المؤمنَ محروسٌ بالملائكة فلا يصل إليه الجنُّ إلا إذا شاء الله، قال في الحديث: «**تفلَّت**» وهو فعل مضعَّف دلَّ على الشدّة التي يلاقيها مَن يريد منهم التسلُّطَ على المؤمن، وذلك لأن المؤمنَ محفوظٌ بحفظ الله.

٥. في الحديث إشارةٌ إلى عظم أمرِ الصلاة وشدّتِها على الشياطين، لذلك حاول هذا العفريت من الجن قطْعَها على النبي ﷺ.

٦. الحديث دليلٌ على أن الأفعالَ الصالحةَ شديدٌ وقعُها على الشياطين، فقد تفلَّتَ هذا العفريتُ على النبي ﷺ حينما دخل في صلاته.

٧. في الحديث بيانٌ وإشارةٌ إلى عداوةِ الشيطان وذريّتِهِ الدائمةِ للإنسان حيث يقطعُ عليه صلاته ويوسوس له فيها.

٨. في الحديث دلالةٌ على ارتباط المؤمن بالله ونسبة الأفعال إليه، قال في الحديث: «**فأمكنني الله منه**» وقال: «**فرده الله خاسئًا**» وهذا لِما يقوم في قلب المؤمنِ من الاعتمادِ على الله.

٩. قول النبي ﷺ : «**وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري**

المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم» فيه إشارةٌ إلى أن أهمَّ مكانٍ يلتقي فيه النبيُّ ﷺ بالصحابة هو المسجد مما يبيِّنُ مكانةَ المسجد في الإسلام.

١٠. نأخذ من هذا الحديث أن بني آدم وخصوصاً الأنبياء قد يروْنَ الجنَّ كما رأى النبي ﷺ هذا العفريت، وكذلك قد يُخنَقُ هؤلاء العفاريت كما قال النبي ﷺ: «**فذعته**»، أي: خنقته.

١١. في الحديث دلالةٌ على ضعف الشياطين أمام إيمان المؤمن، ولهذا خنقَهُ النبيُّ ﷺ وأراد أن يربطه في ساريةٍ من سواري المسجد، وردَّهُ اللهُ خاسئاً.

١٢. في الحديث شجاعةُ النبي ﷺ وقوّةُ قلبه، حيث لم يكن هذا الشيطان لِيؤثِّرَ فيه، بل تغلَّبَ عليه ﷺ.

١٣. يُستأنَس بهذا الحديث في مسألةٍ فقهيّةٍ وهي جوازُ دخول الكافر للمسجد إذا كان في ذلك مصلحة، كأن يُربَطَ في ساريةٍ من سواري المسجد، ولهذا ربطَ النبيُّ ﷺ ثمامة بن أثال في سارية من سواري مسجده ﷺ.

١٤. في الحديث مثالٌ على الأخوّةِ بين الأنبياء واحترام بعضهم

لبعض، فهذا نبيُّنا ﷺ عدَلَ عن ربط العفريتِ من الجنّ احتراماً لدعوةِ أخيه نبيّ الله سليمان بقوله: وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي.

١٥. في الحديث دلالةٌ على أنَّ المؤمنَ مرتبطٌ بالقرآن مُتذكِّرٌ له حاضرُ الذهن فيه، لقوله: «**فذكرت قول أخي**».

١٦. دلَّ هذا الحديثُ في قول النبي ﷺ: «**فذكرت دعوة أخي سليمان رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي**» على أن التسخيرَ التامَّ للجنِّ واستخدامَ الجنِّ التامّ لم يكنْ إلا لسليمان عليه السلام.

١٧. استدلَّ ابنُ حجر من هذا الحديث على أن المصلّيَ إذا خطرَ على بالِهِ بعضُ الأمور أن صلاتَه لا تبطُلُ، وذلك لقوله: «**فذكرت قول أخي**» أي: تذكر ذلك أثناء صلاته.

١٨. دلَّ هذا الحديثُ على حُكمٍ استنتجَهُ الفقهاءُ وهو أن الحركةَ الكثيرةَ تُبطِلُ الصلاةَ إلا ما كان لمصلحة الصلاة، أو لدفع الضرر عن المصلي، وهذا ما فعله النبي ﷺ فلم تبطلْ صلاتُهُ.

***

الْقِصَّةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ:

إِبْلِيسُ وَسَرَايَاهُ وَأَقْرَبُهُمْ مَنْزِلَةً مِنْهُ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً، أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**»، قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «**فَيَلْتَزِمُهُ**»[1].

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دلالةٌ على ما عند إبليس من العظمة والكبر، والعظمة إزار الله والكبرياء رداؤه، ومَن ينازعُهُ فيهما عذَّبَهُ، وقد وضع إبليسُ عرشَهُ على الماءِ، والله عرشُهُ على الماء، والله هو الكبير المتعال.

٢. في الحديث دليلٌ على عداوة إبليس لبني آدم، وسعيِهِ الحثيث لإفسادهم وإضلالهم.

٣. في الحديث دليلٌ على مكانةِ الأسرةِ في حفظِ المجتمع من

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨١٣)، وأحمد في مسنده برقم (١٤٦٠١).

الفساد، لذلك حرصَ إبليسُ على تفكيكِها بالطلاق.

٤. هذا التنظيمُ الدقيقُ للمشروع الشيطاني يجب أن تُقابلَهُ مشاريعُ خيرٍ يقوم بها المصلِحون وتتوافر جهودُهم فيها من أجل نشر الخير وصدّ الفتنة والفساد.

٥. في الحديث دلالةٌ على تنافُسِ الشياطين فيما بينهم للإفساد في الأرض للحصول على قربِهم من وليِّهم عدوِّ الله إبليس، والمؤمن كذلك عليه أن ينافِسَ إخوانَهُ للوصول إلى الله والقُرْبِ منه.

٦. في الحديث بيانٌ أن الذنوبَ بعضُها أشدُّ من بعض وأعظم من بعض حتى عند الشياطين، قال الشيطان: ما صنعتَ شيئاً، فعلى المؤمن أن يكون حصيفاً في فِقه الذنوب، فيعرف أضرارَها والأشدَّ منها.

٧. لا يركِّزُ الشيطانُ - وهو الأعلم بما فيه فساد بني آدم - إلا على القضايا المُهِمّةِ ذاتِ الأثر الأكبر في الفساد، فمن المُهِمِّ أن نجعل لها أولويّةً خاصةً في الإصلاح.

٨. إذا كان الإفسادُ بين الزوجين هو ثمرةُ جهودٍ شيطانية فعلى الأسرة المسلمة تحصينُ بيوتِها بما يَقِيها من الشيطان وأثرِهِ من الأذكار والأوراد وقراءة القرآن.

٩. في قول جنديٍّ إبليس: (ما تركته حتى فرَّقتُ بينه وبين امرأته) دليلٌ على مواصلةِ هذا الشيطان للجهودِ الحثيثةِ وتكرارِ ذلك ومواصلتِهِ حتى تقعَ هذه الغايةُ وهي التفريقُ بين الرجل وبين امرأته.

١٠. في الحديث إشارةٌ إلى أن غالبَ أحوالِ الطلاق هي من جُهْدِ الشياطين وإغوائهم، وفي ذلك رسالةٌ للزوجيْن أن يستعيذا بالله من الشيطان ويذكرا الرحمن.

١١. وفيه أيضاً إشارةٌ إلى أنه كما أن إبليسَ يفرحُ بافتراقِ الزوجيْن والطلاق فإن من إغاظتِهِ والتعبُّدِ لله بذلك أن يسودَ الودُّ والوئامُ والحبُّ بين الزوجيْن.

١٢. دلَّ الحديثُ على أن أشدَّ الأعمالِ وقعاً عند الشيطان وفرحاً بها هو تشتيتُ الشّمْلِ وتفريقُ الأسرة، فدلَّ ذلك على أن أحبَّ الأعمالِ إلى الله هو جمعُ الشملِ وإصلاحُ ذاتِ البيْن.

١٣. ها هو الشيطان يقول: (نِعم أنت) مادحاً جُنديَّهُ الذي فرَّق بفتنتِهِ وفسادِهِ بين رجلٍ وامرأته، والأوْلى أن يقولَها المصلحون لِمَن تحت أيديهم كلّما فعلوا خيراً وأتقَنوا عملاً.

١٤. في الحديث إشارةٌ إلى أن مَن سعى في الفتنة بين الناس وخصوصاً في الأمور الزوجيّةِ أنه يكون من أعظم جُندِ إبليس.

١٥. في الحديث دلالةٌ على دقّةِ المُحدِّثين ﵏ في تبليغِ السُّنّةِ النبويّة والحرصِ على سلامة ألفاظِها، قال الأعمش وهو أحدُ رواةِ الحديث: أراه قال: فيلتزمه، أي: أظنّه قال، فلم يجزمْ الأعمشُ بهذه الرواية.



الْقِصَّةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ:

أَيُّوبُ عليه السلام وَهُوَ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. استنبط الفقهاءُ من هذا الحديث جوازَ الاغتسالِ عرياناً إذا كان الإنسانُ في مكانٍ خالٍ عن أيّ أحد.

٢. في الحديث دلالةٌ على تبدُّل الحال وأن الله سريعُ الغِيَر، فأيوبُ العبدُ المُبتَلى يُنزِلُ اللهُ عليه رزقاً من عندِهِ جراداً من ذهب فيغتني بعد فقرِهِ.

٣. في الحديث دلالةٌ على قدرة الله وأن الله قادرٌ وقديرٌ ومقتدرٌ، وأنه يخلق ما يشاء على الوجه الذي يريد، حيث خلق الله لأيوب جراداً من ذهب.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٧٩)، والنسائي في سننه برقم (٤٠٧)، وأحمد في مسنده برقم (٨٢٧٥).

٤. الحديث دليلٌ على أن اللهَ يرزق عبده في الوقتِ الذي يختارُهُ هو سبحانه وتعالى، فقد أخَّر اللهُ رزقَ أيوب ﷺ حتى اغتسل فأنزل الله عليه ذلك الجراد من ذهب.

٥. الحديث دليلٌ على أن الله يرزق عبدَهُ من حيث لا يشعر، فأيوب ﷺ ذهب يغتسل فأصبح ذلك هو مصدرَ غناه، فقد يرزقك الله وأنت في طريق، وقد يرزقك الله وأنت مسافر، وقد يرزقك الله وأنت نائم، وقد يرزقك الله في يومك أو في ليلتك.

٦. في الحديث دلالةٌ على الحبِّ الفطريِّ للمال، لمّا أنزل اللهُ على أيوب ﷺ الجرادَ من ذهب جعلَ يحثو منه حثْياً.

٧. في الحديث دليلٌ على إثباتِ صفةِ الكلام لله سبحانه وتعالى وأنه يُنادِي بعضَ أنبيائه بصوتٍ مسموعٍ، قال في الحديث: **«فناداه ربه يا أيوب»**.

٨. قوله في الحديث: **«ألم أكن أغنيتك عما ترى»** قال بعضُ شرّاح الحديث بأن المعنى أغنيتُك بالنبوّة، وعلى هذا المعنى يكون الوحيُ والنبوةُ والعلمُ بالله ومعرفتُهُ ومحبتُهُ فيها غنى للإنسان عن ذهب الدنيا.

٩. في الحديث أن الرزقَ والغنى من الله، قال سبحانه: **«يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى»**.

١٠. في الحديث دليلٌ على جوازِ القسَمِ بصفاتِ الله، قال نبيُّ الله أيوب: بلى وعزّتك.

١١. في الحديث أن الإنسانَ لا يستغني عن برَكةِ الله فهو فقيرٌ إليه في جميع حالاته.

١٢. قال أيوب ﷺ: «**لا غنى بي عن بركتك**» فيه وجوبُ نسبةِ النّعمِ إلى المُنعِم عز وجل وذكرِهِ وشكرِهِ عليها.

١٣. «**لا غنى بي عن بركتك**» كثيرٌ من البشريّةِ اليوم في هذا العالم الماديّ لا يعرفون مفهوم البرَكة، ذلك المفهومُ الذي ذكره الله لعباده وعرَفَهُ أنبياؤه وأولياؤه، ولو علمتْ البشريّةُ هذا لعرَفوا أن مدارَ السعادةِ عليه.

١٤. الحديث دليلٌ على افتقار المؤمن لربه وأنه لا غِنى له عن الله، وأنه محتاجٌ بكليّتِهِ إلى الله، وهي عبوديّةُ الافتقار عبوديّةُ الأنبياء، قال أيوب: لا غِنى بي عن برَكتك.

***

الْقِصَّةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ:

الرَّجُلُ الَّذِي ذُكِرَ اسْمُهُ فِي سَحَابَةٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ، لِلاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دليلٌ على وجود الملائكة، وأنهم يسوقون السحاب ويقسِمون الأرزاقَ بأمر الله سبحانه وتعالى.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٨٤)، وأحمد في مسنده برقم (٨٠٥٦).

٢. الملائكةُ عالَمٌ غيْبِيٌّ عنّا، إلا أنه قد يسمع بعضُ الناس أصواتَهم أو يراهم.

٣. في الحديث دلالةٌ على أخذ العبرة والتفكّر فيما يراه ويسمعه الإنسان، فهذا الرجل في فلاةٍ سمِعَ صوتاً في سحابةٍ فتتبَّعَ ذلك الصوت وذلك الماء حتى وجد رجلاً معه مسحاة فسأله فأَخَذَ العِبرة، ونحن كم نرى ونسمع حولَنا ما يستحقُّ التفكرَ والاعتبار؟!

٤. من الحديث يُشرع أن نقول: يا عبد الله، لَمن لا نعرفه، فإن كان مُسلِماً فهو عبدٌ لله طَوْعاً، وإن كان كافراً فهو عبدٌ لله قهراً.

٥. في الحديث دليلٌ على جواز السؤال عن سبب بركة الأعمال والأموال للاعتبار، وجوازُ الإخبارِ بذلك إذا أُمِنَتْ الفتنةُ وغلَبَتْ المصلحة.

٦. في الحديث دلالةٌ على مُلك الله لكل شيء، فالسماءُ سماؤه والأرضُ أرضُهُ والسحابُ سحابُهُ، ومَن أطاع اللهَ سخَّرَ له كلَّ شيء حتى السحاب.

٧. في الحديث إشارةٌ إلى قوله ﷺ: «**إنَّ الله إذا أحب عبدًا نادى في أهل السماء أن أحبوه فيحبه أهل السماء**» ومنهم هذا الرجل الذي

أحبَّهُ أهلُ السماء وهُم الملائكة فعرَفوه وأحبُّوهُ حتى أُمِروا بأن يُساقَ السُّحابُ إلى حديقته.

٨. في الحديث دلالةٌ على بيان فضلِ الصَّدقة، وأن المُتصَدِّقَ يسخِّرُ اللهُ له السحابَ على علوِّهِ كما يُسخَّرُ له باطنُ الأرض.

٩. دلَّ الحديثُ على أنَّ الصدقةَ تدفع البلاءَ، فقد دفع اللهُ القحطَ والجدبَ عن مزرعة هذا الرجل بفضل الصدقة.

١٠. دلَّ الحديثُ على أن الصدقةَ نماءٌ للمال وزيادة، فهذا الرجل يتصدق بثلثِ محصولِهِ ومع هذا يزيد ماله.

١١. في الحديث دلالةٌ على جواز الإخبار ببعض الأعمال الصالحة لِيُقتدى بها مع الحرص على سلامة القلب، فالرجل أخبر عن نفسه فقال: (فأتصدَّقُ بثلثِهِ).

١٢. دلَّ الحديثُ على التوازن في صَرْفِ المال كما فعل هذا الرجل الصالح، فتصدق بالثلث فقط ولم يهملْ أهلَه وعيالَه فقسَمَ لهم الثلثَ، ولم يهملْ زَرْعَهُ ورأسَ مالِهِ فدفعَ فيه الثلثَ أيضاً.

١٣. ما حدَثَ لهذا الرجل الذي نُودِيَ باسمِهِ في السحابة كرامةٌ من الله عز وجل، لكنْ ليس كلُّ من عمل الصالحات تحدُثُ له

كرامة، المهمُّ أن يعمل صالحاً ويُوقِنَ أن لُطْفَ اللهِ وكرمَهُ واصلٌ لعباده الصالحين.

١٤. إذا كان هذا الرجل قد نال ببركة الصدقة ما نال في الدنيا وهذه عاجل بُشراه، فما أعدَّهُ الله له في الآخرة وللمتصدقين أعظم وأعظم.

١٥. في الحديث إشارةٌ إلى قيمةِ العمل عند الإنسان المسلم، فهذا الرجل لم يعتزلْ الدنيا وراء ظهره بل كدَّ واجتهدَ وعملَ، وناله من بركة عملِهِ في الدنيا قبل الآخرة.

١٦. في الحديث إشارةٌ إلى إكرامِ الله لأوليائِهِ في الدنيا، حيث يُظهِرُ مكانتَهم للناس وما يدلُّ على قُربهم منه تطميناً لهم وبشرى لهم بذلك.

***

الْقِصَّةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ:
النَّبِيُّ الَّذِي أَحْرَقَ قَرْيَةَ النَّمْلِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ»[1].

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دليلٌ على سعة علم الله وإحاطته بأفعال الخلق، فلم يغِبْ عن علمِهِ قرصةُ نملة أو موتِها حرقاً.

٢. «قرصت نملة نبيًا» فيها أن الأنبياء ﷺ مع مكانتهم العظيمة واصطفاء الله لهم، فإنهم تجري عليهم العوارضُ والابتلاءاتُ التي تجري على بقيّةِ البشَر.

٣. إن اللهَ عز وجل عدلٌ ويحبُّ من عبادِهِ العدلَ، فهنا يعاتِبُ نبيّاً مصطفى أن اعتدى بالحرْقِ على قريةِ نملٍ كاملةٍ بسبب نملةٍ واحدة.

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٠١٩)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٢٤١).

٤. في الحديث دلالةٌ على أن اللهَ خالقٌ عليمٌ قديرٌ، قال في الحديث عن النمل: «**أمة من الأمم**» فكلُّ شيءٍ أمّةٌ: فالإنسُ أمّةٌ والجنُّ أمّةٌ والحيواناتُ كلُّ صنفٍ أمّةٌ، واللهُ ربُّ هذه الأمم جميعاً.

٥. دلَّ الحديثُ على أن عبوديّةَ المخلوقاتِ هو التسبيحُ لله قال: «**أمة من الأمم تسبّح**» ومصداقُ ذلك في كتاب الله ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾[1].

٦. عبوديّةُ النملِ هي التسبيح، وهذا من هداية الله لها، فالنمل ينزِّهُ اللهُ عن معاصي الإنسان وينزِّهُ اللهَ عن معاصي الجنّ، وينزِّهُ اللهَ عن أن يضيِّعَها وقد خلَقَها.

٧. من أسماء الله: الربِّ، وهو يدلُّ على تربيةِ الله لمخلوقاته، تربيةُ أبدانِها بالطعام وتربيةُ قلوبِها بالإيمان، وقد ربَّى اللهُ النملَ فحفِظَ لها غذاءها وأبدانَها، وربّى اللهُ النبيَّ بتربيتِهِ وتوجيهِهِ كما في هذا الحديث.

٨. عاتبَ اللهُ نبيّاً من أنبيائه هو من خيار خلقِهِ على قتلِ مخلوقٍ وحرقِهِ وهو من أحقر مخلوقاته سبحانه وتعالى، فكيف سيكون

(١) سورة النور:٤١.

حسابُهُ وعذابُهُ وعقوبتُهُ لشرارِ الخلقِ الذين يقتلون ويحرقون خيارَ الخلق من المسلمين ؟

٩. في الحديث إشارةٌ إلى أسلوب تربوي في العقوبة على الأخطاء، وهو أن العقوبةَ على الخطأ لا تتجاوَزُ إلى غيرِ المُخطِئ.

١٠. وفي الحديث أيضاً توجيهٌ إلى عدمِ الاستهانةِ بأخطاءِ الأفرادِ فقد يجرُّ خطأُ فردٍ واحدٍ على أمّةٍ عذاباً.

١١. أحرقَ النبيُّ هذه الأمّةَ بالنار لأنه كان جائزاً في شريعتِهم، أما في شريعتِنا فإن الإحراقَ بالنار محرَّمٌ لقول النبي ﷺ: «**لا يعذِّب بالنار إلا رب النار**».

***

الْقِصَّةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ:

شَقُّ صَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِعْرَاجُهُ

عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنهما: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ، وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ، مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ»، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ»، فَقُلْتُ: لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ»، فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، «فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ:

وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي

حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهَرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهَرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً

كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. «بينما أنا في الحطيم مضطجعًا» كم في هذا المنظر من أشجان،

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٨٨٧)، ومسلم في صحيحه برقم (١٦٢).

ففي ظلِّ الشدائدِ التي تحيط بالنبي ﷺ أتتْهُ أعظمُ بشارةٍ وتثبيتٍ في أحداث هذا الحديث العظيم، وهكذا يجب على المؤمن أن يعلم أن الفرَجَ من الله قريبٌ.

٢. في الحديث دلالةٌ على عناية الله بنبيه ﷺ وتربيته له، فقد قدَّ صدرَهُ واستخرج قلبَه وغسله بماء زمزم تطهيراً له.

٣. في الحديث دلالةٌ على صفة الخلق لله وصفة القدرة، فالله يخلق ما لا يعلم الناس، فخلَقَ البراقَ وهو دون البغل وفوق الحمار، أبيض، ليس له شبيه، خطوُهُ عند أقصى طرفه.

٤. في الحديث دلالةٌ على تنظيم الملائكة، وأن كلَّ مَلَكٍ يقوم بعملٍ خاصٍّ له، فالسماءُ الأولى لها مَلَك، والسماء الثانية لها مَلَك، وكلُّ مَلَكٍ لا يَسمح بالدخول إلا لَمن أذن اللهُ له.

٥. في الحديث دلالةٌ على الترحيب بالزائر، قال الملك في الحديث: مرحباً به، فنعم المجيء جاء.

٦. في الحديث دلالةٌ على تسليم الابن على أبيه وأن هذا من البِرّ، قال جبريل في الحديث: هذا أبوك آدم فسلِّمْ عليه، قال النبي ﷺ: «**فسلمت عليه**».

٧. فيه حُسْنُ استقبالِ الأبِ للابن ولُطْفُ العبارةِ معه، قال آدمُ للنبيِّ صلى الله عليهما وسلم: مرحباً بالنبيّ الصالح والابن الصالح.

٨. في الحديث فضيلةُ ماء زمزم وأنه ماءٌ نقيٌّ مبارك، فقد اختاره الله لغسلِ قلبِ نبيّهِ ﷺ .

٩. حتى يصيرَ هذا القلبُ قلباً حيّاً هو محتاجٌ لأن يُملأ إيمانًا، فلا تزاحِمْهُ شهوةٌ أو شبهةٌ، ففي الحديث مُلِئ قلبُ النبي ﷺ وحُشِيَ إيماناً.

١٠. استفتاح جبريل عند كلِّ سماء - أي: طلبُهُ فتح أبوابِها - فيه أدبُ الاستئذان، ونأخذ منه أن هذا هو الأدبُ الذي يجب أن يعملَ به الإنسانُ حينما يأتي مكاناً أو بيتاً.

١١. في قول جبريل حينما سئل: «من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد» أدبٌ وهو: إخبارُ الشخصِ باسمِهِ حينما يطرق بابًا مغلقًا، حتى يعرفَ أهلُ الدارِ مَن الطارق.

١٢. في قول الملك: «وقد أُرسل إليه» دليلٌ على أن الملائكةَ لا يعلمون من الغيب إلا ما علَّمهم اللهُ سبحانه وتعالى، فقد جهِلوا موعدَ رسالةِ النبي ﷺ حتى أُخبِروا بذلك.

١٣. في الحديث إشارةٌ إلى العدد الكبير من الملائكة الذين لا يحصيهم إلا الله، وهو إشارةٌ إلى قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾(١).

١٤. كلُّ نبيٍّ من الأنبياء قال للنبيّ ﷺ: «**مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح**» وهذا دليلٌ على إيمان الأنبياء بالنبي ﷺ ، ومصداقُ ما قال الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾(٢).

١٥. تفاوتُ الأنبياءِ في السماوات بعضهم أدنى من بعض دليلٌ على اختلافهم في الفضل والمنزلة، وهذا مصداقٌ لقوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٣).

١٦. في الحديث دلالةٌ على التنافس في الخير والتأسف لفواته، بكى موسى ﷺ حينما صُعِد بالنبيِّ ﷺ إلى منزلةٍ أعلى منه، فلما سُئِل قال: غلامٌ بُعث بعدي يدخل الجنةَ من أمته أكثرُ من أمتي، وعلى هذا ينبغي أن يكون التنافسُ والتأسُّف.

(١) سورة المدثر:٣١.

(٢) سورة آل عمران:٨١.

(٣) سورة البقرة:٢٥٣.

١٧. في الحديث دليلٌ على علوّ همّةِ موسى وشدّةِ محبّتِهِ لله، وذلك أنه لم يُبْكِهِ إلا أن رجلاً بُعث بعده يدخل الجنة من أتباعه أكثرُ من أتباع موسى، وهذا لِما قام في قلبِ موسى من الحبِّ لله بحيث أنّه لم يُرِدْ أن رجلاً يكون أقربَ منه لله.

١٨. في الحديث بيانٌ لعِظَمِ قدْرِ الصلاة، فإن جميعَ شرائع الإسلام تلقّاها النبيُّ ﷺ عن طريق الوحيِ بواسطةِ المَلَكِ إلا الصلاة، فإن النبيَّ ﷺ تلقّاها من الله سبحانه وتعالى مباشرة.

١٩. في الحديث إشارةٌ إلى فضلِ هذه الأمّةِ على غيرها من الأمم، فإن الله تعالى يجزيها بالأجر الكبير على عملٍ قليل.

٢٠. في الحديث إشارةٌ إلى خصِّيصةٍ من خصائص هذه الأمّةِ وهي الفِطريّة، فهي أمّةُ الفطرة.

٢١. في الحديث إشارةٌ إلى أهميّةِ الاستماع والاستفادة لَمن يفوقك خبرةً، فإن النبيَّ ﷺ استمعَ إلى رأيِ موسى عليه السلام واستفادَ من خبرته في مُعالجَةِ الأمم.

٢٢. في الحديث إشارةٌ إلى أن اللهَ يفضِّلُ ما يشاء من خلقه على مَن يشاء، ففي هذا الحديث فُضِّل السِّدْرِ بارتفاعه في الملأ الأعلى،

ولهذا أيضاً جاء في سُنّةِ النبيِّ ﷺ الوعيدُ الشديد لَمَن قطعَ سدرةً.

٢٣. في الحديث دلالةٌ على أفضلية عبادة الطواف وأنها من العبادات التي اشترك فيها الملأ الأعلى مع الملأ الأسفل، فالملائكة يطوفون والمؤمنون يطوفون بالكعبة.

٢٤. في الحديث دلالةٌ على المبادرة في بذل النصيحة كما فعل موسى عليه السلام، فهو الذي بادَرَ وسألَ النبيَّ ﷺ، ثم بعد ذلك بذل له نصيحته.

٢٥. في الحديث دلالةٌ على فضل موسى عليه السلام على هذه الأمة المحمديّة، وذلك بأنه نصحَ نبيَّنا ﷺ بطلب ربَّه تخفيفَ الصلاة.

٢٦. في الحديث دلالةٌ على الصدق في بذل النصيحة، فموسى عليه السلام الذي نصح نبيَّنا ﷺ بطلبِ تخفيفِ الصلاة هو الذي بكى حينما صُعِد بالنبي ﷺ فوقه، لأن مَن يدخل الجنة من أمته أكثرُ من أمة موسى، ومع هذا بذل النصيحةَ للنبيّ ﷺ.

٢٧. في الحديث دلالةٌ على فقه العبودية، وأن العبوديّةَ لا تعني إتعابَ البدن، إنما تعني الاستسلامَ لأمر الله، فحينما كانت الصلواتُ خمسين كان على المسلم أن يستسلم، وحينما وُضعتْ الصلوات إلى

خمس صلوات كان المسلم مستسلماً مُؤدّياً لها، فالعبودية هي الاستسلام.

٢٨. في الحديث إشارةٌ إلى صفةٍ من صفات النبيّ ﷺ وهي حياؤه من ربه عز وجل.

٢٩. في الحديث دلالةٌ على رِفْقِ الله وكرمه وأن اللهَ رفيقٌ كريم، فمن رفقه أنه خفَّفَ عنّا من الخمسين إلى خمس صلوات، ومن كرمِهِ أنه أعطانا بالخمس أجرَ خمسين صلاة.

٣٠. في الحديث دلالةٌ على الإلحاح على الله عز وجل في الدعاء، فإن اللهَ يُحِبُّ اللَّحوحَ ويحبُّ الإلحاحَ في الدعاء، ويعطي عليه ما لا يعطي على غيره، فالنبي ﷺ لمّا ألحَّ على ربه في التخفيف خفَّفَ عنهم.

٣١. في الحديث دلالةٌ على عظيم منزلتيْ الرضا والتسليم وهما من أعمال القلوب، فمَن رضي واستسلم لله فقد استكمل الإيمان، قال النبي ﷺ: «**ولكن أرضى وأسلم**».

***

الْقِصَّةُ الثَّلَاثُونَ:

الْكَذَبَاتُ الثَّلَاثُ اللَّاتِي كَذَبَهُنَّ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عليه السلام قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ؛ ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾(١) وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾(٢)، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ، أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ! فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللهُ أَنْ لَا أَضُرَّكِ! فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ،

---

(١) سورة الصافات:٨٩.

(٢) سورة الأنبياء:٦٣.

وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ! فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ، قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ[1].

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دلالةٌ على أهمية الصدق في حياة الإنسان المسلم، إبراهيم الذي عليه السلام كان داعيًا إلى التوحيد ولاقى ما لاقى من المشركين وابتُلِي أشدّ الابتلاءات، ومع هذا قال في الحديث: «**لم يكذب إلا ثلاث كذبات، اثنتين منهما في ذات الله**».

٢. دلَّ الحديثُ على أن مَن حفِظَ أوامرَ الله حفِظَ الله عِرْضَهُ، لمّا كان إبراهيمُ عليه السلام حافظاً لأوامر الله حفِظَ اللهُ زوجتَهُ من ظُلمِ هذا الظالم.

٣. في الحديث فضلُ إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة حيث لم يكن في الأرض مسلم غيرهما، قال إبراهيم لسارة: فإني لا أعرف على الأرض مسلمًا غيري وغيرك.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٥٨)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٧١).

٤. في الحديث دلالةٌ على جواز المعاريض، والمعاريض: شيءٌ يتخلّصُ به الرجلُ من المكروه إلى الجائز، وهذا مأخوذٌ من قول إبراهيم ﷺ لزوجته: إنَّكِ أختي.

٥. في الحديث دلالةٌ على طغيان هذا الملك وشدّةِ تجبّره وتكبّره فهو لا يأخذ الأخت، إنما يأخذ الزوجةَ احتقاراً لزوجها، ولهذا قال إبراهيم لزوجته: أنت أختي.

٦. دلَّ الحديثُ على أن في الصلاة فرَجاً، وإذا حزَبَ الإنسانَ أمرٌ فعليه بالصلاة، وقد كان نبيُّنا ﷺ كذلك، في الحديث قال: «**فلما رآها إبراهيم انصرف**» يعني: انصرف من صلاته فقد كان يصلي ويدعو.

٧. في الحديث إشارةٌ إلى فضل الدعاء، فبِهِ أنجى اللهُ عز وجل زوجةَ إبراهيم من هذا الملك الظالم.

٨. فيه عظيمُ فرَجِ الله وسرعةُ غِيَره، فالله يغيِّر حالَ الخائف إلى آمِن وزيادة على ذلك، قالت سارة في الحديث: «**ردَّ الله كيد الفاجر، وأخدم الخادم**».

٩. في الحديث فقهٌ عظيمٌ ودقيقٌ من إبراهيم ﷺ وهو معرفة شرِّ الشّرّيْن وارتكاب الأدنى والأخفّ منهما، فإن المحافظةَ على العِرض

أعظمُ بكثير من ارتكاب كذبةٍ هي في حقيقتِها من المعاريض التي يتخلّص بها الإنسان، بأن يكون ظاهرُها يُوهِمُ السامعَ بينما المتكلِّمُ لم يقلْ سِوى الحقّ في باطنه.

١٠. في الحديث جوازُ الدعاء للكافر الظالم إن كان هناك مصلحة، قال الملك الظالم لسارة: ادعي لي، ففعلت.

١١. قد يصِلُ الكِبرُ والجبروتُ بالإنسان إلى تكذيبه الحقائق وصرف قلبه عن الحق، فهذا الجبّارُ يرى آيةً عظيمةً أمامَهُ حيث قُبضَتْ يدُهُ قبضةً شديدةً ثلاثَ مرات وهو يدعو سارة أن تدعو الله له، ثم قال بعد ذلك لَمن جاء بسارة: إنَّك إنَّما أتيتني بشيطان، وكان الأوْلى به أن يعتبر.

١٢. ما أعظمَ تعظيمَ خليلِ الله إبراهيم ﷺ لله عز وجل وما أعظمَ مكانته، فإنه لم يكذبْ قطّ سوى في ثلاثة مواضع، اثنتان منهما كانتا في ذات الله انتصاراً لله ولدينه وتبكيتاً لأعداء الله.

***

الْقِصَّةُ الْحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ:

يَحْيَى عليه السلام وَالْكَلِمَاتُ الْخَمْسُ اللَّاتِي أُمِرَ بِالْعَمَلِ بِهِنَّ

عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنَا آمُرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ

رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ؛ السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. دلَّ الحديثُ على الجمع بين العلم والعمل، وأن مَن أمرَ بشيءٍ فعليه أن يبادِرَ إلى فعله، ففي الحديث أن اللهَ أمر يحيى بن زكريا

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٨٦٣)، وأحمد في مسنده برقم (١٧٤٤٣)، وابن حبان في صحيحه برقم (٦٢٣٣)، والحاكم في مستدركه برقم (١٥٣٩)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح.

بخمس كلمات يعمل بهنَّ ويأمر بهنَّ بني إسرائيل.

٢. في الحديث دلالةٌ على التعاون على الخير والدعوة إلى الله، قال عيسى ابن مريم: «**إما أن تأمر بني إسرائيل أو أن آمرهم**».

٣. في الحديث دلالةٌ على عدم التقدّمِ على حقوق الغير، لم يأمرْ عيسى عليه السلام بني إسرائيل حتى استأذن من يحيى، لأنه هو الذي قد أمرَهُ اللهُ أن يأمرَ بني إسرائيل.

٤. في الحديث دلالةٌ على ما كان عليه الأنبياء عليهم السلام من شدّةِ الخوفِ من الله وعدمِ الأمن من مكره، قال يحيى بن زكريا: «**إني أخاف أن أُعذَّب أو أن يُخسف بي**».

٥. في الحديث دلالةٌ على ارتباطِ المؤمنِ بأماكنِ العبادةِ والاجتماعِ فيها، قال في الحديث: «**فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد**».

٦. دلَّ الحديثُ على ضَرْبِ الأمثال ليُعلمَ العلمُ، فقد ضرب في الحديث مثلاً لرجل مشرك، ومثلاً آخَر لفضل الصيام، ومثلاً آخر لفضل الصدقة وفضل الذكر.

٧. في الحديث دلالةٌ على قُبْحِ الشرك، فالمشرك يأكل من رزق الله

ويعبد غيرَ الله، قال في الحديث: «**فجعل يعمل ويؤدي إلى غير سيِّده**».

٨. في الحديث دلالةٌ على أن الجزاءَ من جنس العمل، لمّا كان الصائمُ يُحرِقُ جوفَهُ لله وله خلوفٌ كان جزاؤه عند الله أنَّه كرجلٍ معه صُرَّة مسكٍ لها رائحة، ورائحة الصائم أطيبُ عند الله من رائحة المسك.

٩. دلَّ الحديثُ على أنه لم يُدَّخَرْ لتفريجِ الكرباتِ مثل الصدقات، قال في الحديث: «**كمثل رجل أسره العدو وقاموا إليه فأوثقوا يده إلى عنقه**» ثم فدتْهُ الصدقة.

١٠. في الحديث إشارةٌ إلى وسيلة تعليميّةٍ مهمّة وهي: ضربُ الأمثال، وهي وسيلة علميّةٌ مُلِئ منها كتابُ الله وسُنّةُ رسوله ﷺ كما قال الله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾(١).

١١. في الحديث فضلُ ذِكر الله سبحانه وتعالى وعظيم أثره على العبد، قال في الحديث: «**كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله عز وجل**».

---

(١) سورة العنكبوت:٤٣.

١٢. دلَّ الحديثُ على أن الذِكرَ حِصنٌ للذاكر، ومتى ما كان الحصن قويّاً مُحكَماً كان العدوُّ مدحوراً، ومتى ما كان الإنسان ذاكراً كان الشيطانُ صاغراً.

١٣. في الحديث إشارةٌ إلى أن غفلةَ الإنسان عن ذكر الله عز وجل تفتح منافذَ الشيطان عليه، وأن الإنسانَ كلّما فرَّطَ في ذِكرِ الله كان للشيطان عليه تسلُّطٌ بقدْرِ ذلك التفريط.

١٤. في أمر النبي ﷺ بالجماعة والسمع والطاعة والجهاد حمايةٌ للإسلام من داخله بالجماعة والسمع والطاعة، ومن خارجه بالجهاد في سبيل الله، وهذا أعظم ما يكون من الحماية.

١٥. في الحديث إشارةٌ إلى أن أعظمَ انتماءٍ ينتمي إليه أهلُ الإسلام هو أن يتسمَّوْا بالإسلام والإيمان، وأن يكونوا عباداً لله، وأن غيرَ ذلك إنَّما يكون من دعاوى الجاهلية.



الْقِصَّةُ الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ:

مُـــوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْخَضِـــرُ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلَا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا وَنَامَا، فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾[1] وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[2] وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾[3]، قَالَ

---

(١) سورة الكهف:٦١.

(٢) سورة الكهف:٦٢.

(٣) سورة الكهف:٦٣.

مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾(١) فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾(٢) قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾(٣) يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ، ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾(٤) فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ

---

(١) سورة الكهف:٦٤.

(٢) سورة الكهف:٦٦.

(٣) سورة الكهف:٦٧.

(٤) سورة الكهف:٦٩.

أَهْلَهَا؟ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾(١)، فَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا فَانطَلَقَا، فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾، - قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: وَهَذَا أَوْكَدُ - ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾(٢) قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾(٣)، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»(٤).

---

(١) سورة الكهف:٧٢-٧٣.

(٢) سورة الكهف:٧٧.

(٣) سورة الكهف:٧٧-٧٨.

(٤) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٢٢)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٨٠).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دلالةٌ على إرجاعِ العلم إلى الله، فالله هو العالِمُ وهو العليمُ وهو علاّمُ الغيوب، قال في الحديث: «**فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه**».

٢. دلَّ الحديثُ على معنى من معاني اسم الرب، فالربُّ هو الذي يربِّي أولياءه وأحبابَهُ تربيةً خاصّةً، فربَّى هنا موسى ﷺ إذ لم يردّ العلمَ إلى الله.

٣. في الحديث أدبٌ يؤدِّبُ اللهُ به عباده وهو أن يردّوا العلم إليه، وذلك لما عتبَ اللهُ على موسى إذ لم يردّ العلمَ إليه، فينبغي للإنسان أن يقول: الله أعلم، فيما لا يعلم حقيقته.

٤. في الحديث النهيُ عن تزكية النفس، والإشارةُ إلى هضمِها وعدمِ المدحِ لها وإن كان الإنسان يعلمُ من نفسه أنه مستحقٌّ لذلك، فلا ينبغي له، فموسى ﷺ قال: «**أنا**» فعتبَ اللهُ عليه وقد كان هو أعلمَ الناس.

٥. في الحديث إشارةٌ إلى معنى قول الله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ

عَلِيمٌ ﴾[١] فموسى عليه السلام كان أعلمَ الناس في زمانه وكان أفضلَ أهلِ ذلك الزمان، ومع ذلك كان هناك مَن هو أعلمُ منه في بعض الأمور.

٦. في الحديث دلالةٌ على علوِّ هِمّةِ موسى عليه السلام، إذ كان أولُ سؤالٍ له لّما أخبرَهُ اللهُ عن هذا العالِم العابد قال: «**وكيف لي؟**» فلم يسألْ موسى لماذا هو أعلم مني ؟ ولم يسألْ مَن هو هذا الشخص ؟ إنّما تاقَتْ هِمّتُهُ إلى اللقاء مباشرةً.

٧. في الحديث دلالةٌ على خدمةِ أهل الفضل والإحسان واتّخاذِ الخدَم كما فعل موسى عليه السلام في هذا الحديث.

٨. في الحديث دلالةٌ على قوّةِ تحمّلِ موسى عليه السلام ، وهذا دليلٌ على قوته «**والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»، وذلك لقوله: «**فانطلقا بقية يومهما وليليتهما**».

٩. دلَّ الحديثُ على أن وصفَ الحالِ كما هو لا يعتبَرُ تشاؤماً، لّما سلّمَ موسى على الخضر قال الخضر: «**أنّى بأرضك سلام**» فهو بذلك يصِفُ حالَ الأرض التي هو فيها.

١٠. في الحديث دلالةٌ على تعريف الإنسان بنفسه إذا التقى بمَن

---

(١) سورة يوسف:٧٦.

لا يعرفه، قال موسى لمّا التقى بالخضر: «أنا موسى» وذلك ليكون أكثرَ اطمئنانًا.

١١. فيه دلالةٌ على حُسنِ العَرْضِ في الاتِّباعِ لطلبِ العلم، قال موسى ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾[1] وهذا أسلوبُ تأدُّبٍ.

١٢. في الحديث إشارةٌ إلى أن أعظمَ أخلاقِ العلماء وأهل العلم أن يحفظَ كلُّ واحدٍ منهما للآخر قدرَهُ ومنزلتَهُ، قال الخضرُ لموسى: أنا على علمٍ علّمني الله إياه لا تعلمه، وأنت على علمٍ علّمَك اللهُ إياه لا أعلمه.

١٣. في الحديث إشارةٌ إلى أن أعظمَ ما يُعِينُ على طلبِ العلم هو الصبرُ، وأن طالبَ العلمِ إذا لم يصبرْ يفوتُهُ خيرٌ كثير، ولذلك قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾[2].

١٤. في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾[3] أن العلمَ يحتاج إلى صبرٍ ومصابرةٍ ومجاهدةٍ ومثابرةٍ وهضمٍ للذّات، ومهما استخدَمْنا من وسائل تعليميّة ومن وسائل تقنيّةٍ يجب أن يدركَ

(١) سورة الكهف:٦٦.

(٢) سورة الكهف:٦٧.

(٣) سورة الكهف:٦٧.

المعلِّمُ والطالِبُ أن الجاهلَ لن يكون عالِماً إلا إذا صبرَ وثابرَ في هذا الطريق.

١٥. وفيه أيضاً أن عدمَ الصبرِ يفوِّتُ على الإنسان علماً كثيراً وخيراً عظيماً، ولذلك فإن موسى لّما لم يصبرْ على الخضر فاتَهُ من عِلمِهِ، وقد قال النبي ﷺ: «**يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقصَّ الله علينا من خبرهما**».

١٦. في الحديث دليلٌ على علم الله الواسع الذي وسِعَ كلَّ شيءٍ والذي لا يتخيَّلُهُ عقلٌ ولا يدور في حُسبانِ أحدٍ، قال الخضر: ما نقص من علم الله إلا كما نقص العصفورُ من هذا البحر.

١٧. في الحديث إشارةٌ إلى أن على العالِمِ والمُعلِّمِ أن يصبرَ على مَن يتعلَّم عنده، فهذا الخضر قد صبرَ على موسى أكثرَ من مرّةٍ لّما أخلَّ بالشرط.

١٨. في الحديث دليلٌ على أنه لا يعيبُ الفاضلَ أن يأخذ ما لا يعلمُهُ من المفضول، فموسى عليه السلام أفضل من الخضر ومع ذلك تبعَهُ موسى لِيأخذَ منه العلم.

١٩. قيل: إن العلمَ ثلاثةُ أشبار، فإذا تعلَّم الإنسانُ الشبرَ الأولَ تكبَّرَ، ثم إذا تعلَّمَ الشبرَ الثانيَ تواضَعَ، ثم إذا تعلَّمَ الشبرَ الثالثَ عَلِمَ

أنه لا يعلمُ شيئاً، فموسى ﷺ وهو كليمُ الله علَّمَهُ اللهُ أن هناك مَن هو أعلم منه، فكيف بمَن هو أدنى من موسى ﷺ ؟

٢٠. إن تدرُّجَ هذه القصة وتتابُعَها مِن خطبةِ موسى ﷺ ثم حَمْلِ الحوت ثم الوقوف بجانب الصخرة ثم انسلال الحوت ثم لقاء الخضر وتدرُّجُ المواقفِ مع الخضر ﷺ يبيِّن أنّه لا بدّ من بذل الأسباب والتخطيطِ لها إن كنّا نريدُ أن نصِلَ إلى المُراد.

٢١. لابدّ من الصرامة في العلاقات الاجتماعية، البعض يضحّي بمشاريعه أو بأهدافه وأحياناً بآخرته باسمِ الوفاء في علاقةٍ هو الجانبُ الأضعفُ فيها، وهو الذي يقدِّم وغيرُهُ يكسبُ، والواجب عندما يتبيَّن للإنسان أن العلاقةَ قد انتهى سببُها أو أن الإنسانَ يخسَرُ بسببها أن يكون القرار: هذا فراق بيني وبينك.

٢٢. من اللطائفِ في رواية هذا الحديث هو أن راويَه الصحابيُّ الجليلُ أبيُّ بن كعب رضي الله عنه الذي قال له النبيُّ ﷺ في حديث آخر: «**ليهنك العلم أبا المنذر**» والحديث الذي معنا موضوعه العلم، ومن هذا نأخذ أن طالبَ العلمِ المميَّزِ فيه يهتمُّ بأحاديث طلبِ العلمِ والهمّةِ والأدبِ فيه.

***

الْقِصَّةُ الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُونَ:

الرَّجُلُ الَّذِي خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»[1].

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث بيانٌ أن بعضَ الذنوب قد يُعجِّلُ اللهُ عقوبتَها في الدنيا قبل الآخرة، ومن ذلك هذا الذنب العظيم الذي يبارز العبدُ فيه ربَّهُ سبحانه وهو الكِبر.

٢. في قوْلِ النبي ﷺ: «**فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة**» إثباتٌ لعذابِ القبرِ حيث وقَّت نهايةَ ذلك العذاب البرزخيّ حتى تقوم الساعة.

٣. في الحديث بيانٌ أن الجزاءَ من جنس العمل، فلمّا كان المتكبِّرُ يرفعُ نفسَهُ فوقَ منزلتِها كانت عقوبتُهُ من جنسِ عملِهِ فنزل إلى أسفل سافلين.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٧٨٩)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٠٨٨).

٤. كانت لديهِ جمّةٌ جميلةٌ وبُردان جميلان فأُعجبَ بهما فتكبَّرَ فخُسِفَ به الأرض، فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة، فليحذرْ الذي يمتلك كلاماً جميلاً أو مشروعًا جميلاً فيُعجَبُ به فيتكبَّر، فيُخسف به ويتجلجل في الفشل حتى تقوم الساعة.

٥. أعجبتْهُ جمَّتُهُ وبُرداه، وهناك مَن يُعجَبُ بعضلاتِهِ وبجسمِهِ وبملابسِهِ وبجوالِهِ، والإعجابُ بالأشياء الزائلةِ زوالٌ، وقد يكون طريقاً للهلاك.

٦. في الحديث دلالةٌ على جهل الإنسان وضعفه، إذ أعجبَهُ أمرٌ ليس من صُنْعِهِ ولا من فعلِهِ، جُمّةٌ وبُردان هما من رزق الله، ومع هذا أورثاه الكِبرَ حتى عُذِّبَ، ومصداقُ ذلك في كتاب الله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(١).

٧. الإعجابُ بالنفس بدايةُ الخسفِ والانحدارِ والتجلجُلِ في درجات الفشل.

٨. في الحديث دلالةٌ على أن بعضَ الذنوب أعلى من بعض، وأخطرُ الذنوب على الإطلاق هي الذنوبُ التي فيها مِساسٌ بجانب

(١) سورة الأحزاب:٧٢.

الربوبيّة، لمّا كان ذنبُ هذا الرجل الكِبرَ وهو رداءٌ لله خَسَفَ اللهُ به.

٩. **«بينما رجل يمشي إذ خُسف به الأرض»**، هكذا فجأةً أتاه عذابُ الله وهو يمشي، لذا يجب على الناس أن لا يأمَنوا مكرَ الله حينما يتجبَّرون ويخالِفون أمره.

***

الْقِصَّةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ:

صُوَرٌ مِنِ ابْتِلَاءَاتِ مَنْ قَبْلَنَا

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. كلُّ مَن سلك طريقَ الإصلاح يُواجَهُ بالمحارِبين وبمُقاومِي التغيير وبمَن لا يريدون الخيرَ للعالَم، ولكنْ سيتمُّ اللهُ أمرَهُ إذا صدقت نيّتُهُ ولم يخَفْ إلا الله.

٢. ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٩٤٣)، وأبو داود في سننه برقم (٢٦٤٩)، والنسائي في سننه برقم (٥٣٣٥)، وغيرهم.

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾(١) يجب أن ندركَ أن عداوةَ عدوِّ الدينِ هي عداوةٌ شرِسَةٌ وقاسيةٌ، في هذا الحديثِ كانوا يستطيعون أن يقتلوا الرجلَ بأيِّ وسيلةٍ وينتهي أثرُهُ، ولكنّهم اختاروا أشدَّ أنواعِ القتل بغضاً وعداوةً للخير وأهله.

٣. في الحديث إشارةٌ إلى أن حفظَ الدين مقدَّمٌ في الشريعة على حفظ النفس، ولهذا امتُدِحَ أصحابُ العزائم الصابرين على البلاء، الثابتين على الحق، وإن تسبّبَ ذلك في تلَفِ أنفسهم.

٤. وفي الحديث أيضاً مشروعيّةُ تثبيتِ الخائف وتأمين المضطرب، قال النبي ﷺ هذا الحديثَ لمّا جاءه خباب يشتكي إليه العنفَ والقتلَ والضربَ الذي يجدُه المؤمنون من كفار قريش.

٥. إذا كان الصبرُ ممدوحاً شرعاً على العموم فإن الصبرَ على الدعوة وعلى البلاء في الدين أعظم وأعظم، وما ذكر النبيُّ ﷺ قصصَ هؤلاء إلا تثبيتاً لغيرِهم من الدعاة.

٦. قولُ النبي ﷺ في الحديث: «ما يصدّه ذلك عن دينه» وتكرارُ ذلك دليلٌ على وجوب الثباتِ والصبرِ على ما يصيبُ الداعيةَ في

(١) سورة البقرة:١٠٥.

سبيل دعوته، وأن ذلك مطلوبٌ منه حتى لو ذهبتْ حياتُهُ في سبيله.

٧. هنيئاً لَمَن استخدمه الله في طاعته وخدمة دينه، فنجاحُهُ مضمونٌ بنسبة مئة بالمئة، قال: «**والله ليتمنَّ الله هذا الأمر**» وإن لم يكنْ النجاحُ في الدنيا فإن النجاحَ في الآخرةِ هو الأبقى والأدْوَمُ.

٨. ذكرُ رسولِ الله ﷺ لصنعاء وحضرموت في الحديث بيانٌ لأهميّةِ اليمن، فالإيمانُ يمانٍ والحكمةُ يمانيّةٌ.

٩. في الحديث بشارةٌ من النبيّ ﷺ إلى كلّ مَن ينتسِبُ إلى هذا الدين بأن هذا الدينَ سيعُمُّ الأرضَ شرقاً وغرباً، وأن العاقبة للمتقين، وأن التوحيدَ سيعُمُّ جميعَ الأقطار والأمصار.

١٠. «**ولكنكم تستعجلون**» يا لَهَا من قاعدة عظيمة، كم من مستقيمٍ تركَ استقامتَهُ بسببِ استعجالِهِ لعيشِ ما يسمعُهُ ويقرؤه عن أحوال الصالحين ؟ وكم من متحرِّقٍ على حالِ أمةِ الإسلام دبَّ اليأسُ إلى قلبه وخفَتَ تحرُّقُهُ بسببِ استعجالِهِ رؤيةَ النصر ؟ وكم من مشروعٍ صالحٍ تركَهُ صاحبُهُ بسببِ الاستعجال ؟

١١. ليحذرْ المسلمُ من العجَلةِ فهي قاتلةٌ ومدمِّرةٌ للمشاريع.

١٢. ميزةُ الناجحين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ أنهم صبورون

ومثابرون ومستمرون حتى يصِلوا إلى أهدافهم، طالَ الوقتُ أم قصُرَ.

١٣. في الحديث إشارةٌ إلى أن أعظمَ آفةٍ تُصِيبُ الدعاةَ وتُصِيبُ من ينشدُ الحقَّ هي آفةُ الاستعجال، وأن على أولئك الذين يحملون همَّ هذا الدين أن لا يستعجلوا، وأن يصبروا وينتظروا النتائجَ مع العمل.

١٤. قول النبي ﷺ: «**ولكنكم تستعجلون**» مع وقوع البلاءِ الشديدِ على الدعاة يدلُّ على أن اللهَ يُنزِلُ نصرَهُ وثباتَهُ إذا شاء، وليس لكثرةِ وقوعِ الأذى.

١٥. في الحديث بيانُ سُنّةِ الله التي لا تتبدل ولا تتغير: استضعافُ المُستضعَفين ثم التمكينُ لهم.

١٦. ذكرُ النبيِّ ﷺ في هذا الحديث لَمن كان قبلَنا دليلٌ على أن أهلَ الإسلامِ أمّةٌ واحدةٌ في جميع الأديان، فنحن أمّةُ محمدٍ ﷺ نُكمِلُ مشوارَ مَن قبلنا.

***

الْقِصَّةُ الْخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ:

آخِــــرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّـــةَ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِيَ اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا! فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ

رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟» فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»[1].

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث بيانُ خطورةِ الإيمان الضعيف، فإيمانُهُ الضعيفُ كان يكبو به مرّةً وكانت تسفعُهُ النارُ مرّةً أخرى، وكاد يسقطُ بسبب ذلك الإيمان الضعيف، فعلى المسلمِ أن يتعاهدَ إيمانَه.

٢. إذا كان هذا نعيمُ آخرِ أهلِ الجنة دخولاً، فكيف بنعيم

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٨٧)، وأحمد في مسنده برقم (٣٧٩٠).

الدرجات العلى ؟ وإن إنساناً يستبدل هذا النعيمَ بنعيمِ دنيا زائلةٍ لهو خاسرٌ وناقصُ عقلٍ وإدراك.

٣. المشاعرُ والأحاسيسُ التي تملأ كلَّ جانبٍ من جوانب قوله: «**تبارك الذي نجاني منك**» يبيِّن عِظَم النار وشدَّة هولها وبشاعة منظرها، نسأل الله النجاةَ من النار نحن ووالدينا وأحبابنا وكل قارئ لهذا القول.

٤. ما أحلم الله، وما أرحم الله، وما أكرم الله، وما أعظم فضل الله، حوارٌ مع رجلٍ خرجَ من النار وعطاءٌ لا يتوقّف رغمَ كثرةِ الطلبات.

٥. الحديث دليلٌ على صفةٍ من صفات ابن آدم الجبلِّيَّة وهي الطمع، وذلك أنه إذا رأى الخيرَ طمع فيه، وإذا أصابه الشرُّ يجزعُ ويظنُّ أنه يهلك، كما قال الله: ﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾[1].

٦. طموحُ الإنسان ليس له حدود ومن حدَّدَ طموحَهُ فقد ظلمَ نفسَهُ، لِنستفِدْ من هذا الأمر أن نرقى بطموحِنا ولا نتوقّف عن طلبِ

(١) سورة المعارج:١٩-٢١.

المعالي، وأعلى المعالي جوار المصطفى ﷺ في الفردوس الأعلى من الجنة.

٧. عجبًا لمن يسأل المخلوق ويترك خالقًا هذا عطاؤه لآخر أهل الجنة دخولاً، كما قيل:

لا تَقْصِدِ الْـمَخْلُوقَ رَبُّك أَقْرَبُ مَنْ يَقْصِدِ الْـمَخْلُوقَ حقًّا يَتْعَبُ
لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لا تُحْجَبُ
اللّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

٨. « **وربه يعذره لأنَّه يرى ما لا صبر له عليها** » فيُدنيه منها، فلنُحسِنْ الظنَّ بربّنا دوماً مهما فعلْنا.

٩. ابتعدْ عن الطلباتِ ذاتِ العباراتِ الجافّة والأوامر الصريحة، واحرصْ على التعليل وبيان الأسباب فهو أرجى لقبول الطلب، قال: «**يا رب أدنني من هذه الشجرة**» والسبب: «**فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها**».

١٠. في الحديث إشارةٌ إلى أن من زُحزح عن النار فقد فاز فوزًا عظيمًا، ولهذا قال في الحديث: «**لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين**» مع أنه آخِرُ أهلِ الجنة دخولاً الجنة، لكنّ ذلك لأنه نجا من النار.

١١. ظهرَ في الحديثِ آثارُ أسماء الله، الحليم لأنه أنجاه من النار، والرحيم لأنه أدناه من الجنة وأدخله فيها، والكريم لأنه ضاعفَ له الأجر.

١٢. إن إلهاً يحاوِرُ عبدَهُ ثم يعذُرُ عبدَهُ ثم يضحكُ لعبدِهِ لَهُو إلهٌ رحيمٌ كريمٌ عظيمٌ.

١٣. الحديث دليلٌ على كرم الله وعطائه المُدهش، وأنه إن أعطى عبدَه في الدنيا أو في الآخرة أدهشَه عطاؤه، قال الرجل لمّا قال له الله: **«أترضى أن تكون لك الدنيا ومثلها؟ قال: أتهزأ بي وأنت رب العالمين»** فلم يتصوّرْ كثرةَ هذا العطاء.

١٤. في الحديث يظهرُ عظيمُ لُطفِ الله بعبده، فهو سبحانه ما أظهرَ له النعيم مرحلةً بعد مرحلةٍ إلا لِيدخلَهُ الجنةَ، ولتشملَهُ رحمتُهُ سبحانه وتعالى.

١٥. في الحديث إثباتُ صفةِ الضحكِ لله سبحانه وتعالى كما جاء في هذا الحديث وغيره من الأحاديث الصحيحة، كما يليق بجلاله وعظمته من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تعطيل، وهي من الصفات الفعليّة الخبَرِيّةِ التي جاءت الأحاديثُ الكثيرةُ بها.

١٦. قوله: (فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني ممَّ أضحك ؟ قالوا: ممَّ تضحك ؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ) ما أجهلَ مَن طعن في صحابةِ رسول الله ﷺ وما أظلَمَه، وهُم مَن هُم في هذه الدّقّةِ والالتزامِ بما جاء عن رسول الله ﷺ.

١٧. الحديث دليلٌ على شدّةِ اقتداءِ صحابةِ رسول الله ﷺ به في روايتِهِ وكلامِهِ وحديثِهِ، بل وصفةِ تحديثِهِ وضحكِهِ في المواضع التي ضحك فيها، فرضيَ الله عنهم، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد.

١٨. قولُ الله عز وجل في آخر هذا الحديث: (ولكنّي على ما أشاء قادر) فيه فائدة عقدية وهي أن القُدرةَ إذا كانت لإثباتِ أمرٍ واقعٍ وتقريرِ وقوعِهِ فلا مانعَ من تقييدها بالمشيئة، أما إن كانت لذكرِ صفةِ الله فلا تُقيَّد بالمشيئة لأن اللهَ على كلِّ شيءٍ قدير، فهو قديرٌ على ما شاءه، وكذلك قديرٌ على الشيءِ الذي لم يشأ وقوعَه سبحانه.


***

الْقِصَّةُ السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(١) »(٢).

---

(١) سورة السجدة:١٧.

(٢) هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٨٩)، والترمذي في جامعه برقم (٣١٩٨).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دليلٌ على أن الجنةَ درجاتٌ فيها أعلى وفيها أدنى، وكلّها من النعيم.

٢. في الحديث أن أدنى الجنة منزلةً أعظمُ من الدنيا وما فيها، فكيف بأعلاها وسقفِها الفردوس الأعلى ؟!

٣. « **سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟** » والسؤال من أنواع طلبِ العلم، فلنحرصْ على طرحِ الأسئلةِ على مَن لديْه علمٌ.

٤. دلَّ الحديثُ على أن من العلمِ العلمُ بأحوال الجنة ودرجاتِ أهلِها واختلافِ أحوالهم، ولهذا سأل موسى عن هذه القضيّة، فهي من العلم الذي يُطلب.

٥. في الحديث دلالةٌ على كرم الله سبحانه وتعالى، وأنه يعطي أقلَّ أهلِ الجنّةِ أضعافَ أضعافِ الدنيا، وأنّه يعطي العبدَ فوقَ ما أمَّلَ، قال الرجل: «رضيت» فقال الله بعدها: « **لك ذلك وعشرة أمثاله** ».

٦. دلَّ الحديثُ على هوان الدنيا على الله، فإنه قد أعطى أدنى أهل الجنة منزلةَ عشرةِ أمثالِ الحياة الدنيا.

٧. في الحديث دلالةٌ على سعةِ الجنةِ غاية السَّعة، فأدنى أهلِ الجنةِ

منزلةً أُعطيَ عشرَ أمثال الدنيا، وقد وسعتْ الجنة السماوات والأرض.

٨. دلَّ الحديثُ على أن من أعمال القلب ما يستمرُّ مع المؤمن في الجنة وهو الرضا، قال الرجل: «**رضيت رب، رضيت رب**».

٩. في الحديث أنه لمّا اكتملَ إيمانُ أعلى أهلِ الجنّةِ منزلةً وإخلاصُهم أكملَ اللهُ جزاءهم ووفّاه وتمَّمَه، ولمّا أخلصوا أعمالَهم وأخفوْها أخفى الله جزاءهم فقال: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾[1].

١٠. قوله: «**غرست**» دليلٌ على رسوخ منزلةِ المقرّبين عند الله، ودليلٌ على خلودهم الأبديّ، ودليلٌ على استمرار نعيمهم.

١١. في الحديث دلالةٌ على إثباتِ اليد لله سبحانه وتعالى كما هو منهجُ أهلِ السُّنّةِ والجماعة، فاللهُ له صفاتُ الكمالِ سبحانه وتعالى.

***

(١) سورة السجدة:١٧.

الْقِصَّةُ السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَيُّـــوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَـــــلَائِهِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ الله لَبِثَ بِهِ بَلَاؤُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، قَدْ كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: نَعْلَمُ وَالله لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ فَيَكْشِفَ عَنْهُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيُّوبَ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ يَذْكُرَانِ اللهَ فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي، فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلَّا فِي حَقٍّ، وَكَانَ يَخْرُجُ لِحَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا فَأَوْحَى اللهُ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ: أَنِ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ، هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ، فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَتَلَقَّتْهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ الله هَذَا الْمُبْتَلَى؟ وَالله عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِهِ

مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا، قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، قَالَ: وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ، أَنْدَرُ لِلْقَمْحِ، وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ أَحَدُهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. الحديثُ مصداقٌ لقول النبي ﷺ: «**أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**» فهذا نبيُّ الله أيوب عليه السلام طال بلاؤه ثماني عشرة سنة، وذلك لعظيمِ دينِهِ وقيامِهِ بأمر الله.

٢. الحديث دليلٌ على أن من البلاء البلاءَ النفسيّ والأذى المعنويّ، وقد جُمع لأيوب عليه السلام البلاءُ الجسديُّ والبلاءُ النفسيُّ، حتى رفضَهُ القريبُ والبعيدُ، فلم يَعُدْ أحدٌ يجلس إليه أو يريد النظرَ إليه.

٣. من الابتلاء الذي يقدِّره الله على أوليائه: البلاءُ بِقَالَة الناس وسوء ظنِّهم، قال هذان الرجلان: إن أيوب أذنبَ ذنباً، ولم يكن قد أذنب، فجمعَ اللهُ لأيوب البلاءَ الجسديَّ والبلاءَ النفسيَّ والابتلاءَ بِقَالة الناس، فكان أجرُهُ تامّاً.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٨٩٨)، وأبو يعلى في مسنده برقم (٣٦١٧)، والبزار في مسنده برقم (٦٣٣٣)، وغيرهم، وصححه الحاكم في مستدركه برقم (٤١٣٧)، ووافقه الذهبي.

٤. في الحديث دلالةٌ على أدبِ الأنبياء مع ربّهم ﷺ، فأيوب عليه السلام حينما أُخبر بقول الرجل والله لقد أذنب أيوبُ ذنباً لم يُذنبْهُ أحدٌ لم ينفِ ذلك، لأن الإنسانَ من طبيعتِهِ الذنب، وهو مقصِّرٌ أمامَ جنبِ الله سبحانه وتعالى، وإنّما قال: لا أدري ما تقول.

٥. في الحديث تعظيمُ أيوب عليه السلام لربّه عز وجل، كان يكره أن يُذكَر الله عز وجل إلا بحقّ، وكان يكفِّرُ عمّن يذكرُ اللهَ بغير حق.

٦. في الحديث اختلافُ ميزانِ البشر عن ميزان الله سبحانه وتعالى في ابتلائه وفي نعمائه، فالبشرُ يقولون لم يرحمْه اللهُ إذ ابتلاه، والله عز وجل رحِمَهُ ورفعَ درجاته ببلائه.

٧. في الحديث إشارةٌ إلى أن على العبدِ المؤمنِ المحتسبِ الصابرِ المُوقنِ إذا أصابه البلاءُ أن لا يلتفِتَ إلى مَن يجعلُهُ يسيءُ الظنَّ بربّه ويقنِّطه من رحمته، قال أيوب: لا أدري ما تقول غير أني كنتُ أفعل كذا وكذا.

٨. دلَّ الحديثُ على أن كفارةَ اليمين تدخلُها النيابةُ، قال في الحديث: «**فأرجع إلى بيتي فأكفِّر عنهما**» وهذا يحتمل أنه كفارةُ اليمين، أو أنه صدقةٌ عن حلفِهِما بالله.

٩. في الحديث دلالةٌ على أن من وسائل الشفاء أن يمنَّ اللهُ على عبدِهِ بلا سببٍ حقيقيٍّ يباشره العبد وإنَّما بمحضِ فضل الله، فأيوبُ ﷺ ذهبَ لقضاء حاجتِهِ فشَفاه الله، فتغيَّرت حالُهُ، فأنكرتْهُ زوجتُهُ.

١٠. في الحديث دلالةٌ على أن عاقبةَ الصبرِ محمودةٌ: عافية ورزق.

١١. في قصة أيوب ﷺ يَبرُزُ دورُ الزوجة الصالحة في وقوفها مع زوجها والقيام بشأنه في حال الابتلاء والضعف، وهي من أشدّ فتراتِ الحياة التي يحتاج فيها أحدُهما الآخر.

١٢. دلَّ الحديثُ على جواز تسمية الرجلِ الذي يصيبُهُ البلاءُ بالمُبتلى وذِكرِ حالِهِ وذِكرِ مرضِهِ وتفصيل ذلك، إذ قالت زوجةُ أيوب: أرأيتَ نبيَّ اللهِ هذا المُبتلى.

١٣. مهما استطالَ الإنسانُ حصولَ الشفاء أو أيَّ مطلوبٍ فإنه لا يجوز له أن يظنَّ ظنّاً سيئاً أو يحكُمُ بلا بيِّنة، فهذا الرجل وهو من خاصّةِ أيوب وممّن وقفَ معه، ولكنّه قال عن أيوب إنَّه أذنبَ ذنباً ما أذنبَهُ أحدٌ ولم يرحمْهُ اللهُ فيكشف عنه.

١٤. في قصة أيوب ﷺ في القرآن وفي السنة غُنيةٌ للمسلم في

معرفة أحداثها، والاكتفاء بذلك، وعدم الأخذ بما لم يصح، أو بما هو موجودٌ في الإسرائيليات ممّا لا يتناسَبُ مع مكانة أيوب ﷺ وتكريم الله لأنبيائه، ومكانتهم عنده عز وجل.

***

القِصَّةُ الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ»؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا

تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ،

حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾[1]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا

---

(١) سورة النساء: ٤٠.

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ؟ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دلالةٌ على شوق المؤمنين لربهم، ولهذا بادرَ الصحابةُ الكرامُ بالسؤال فقالوا للنبي ﷺ: هل نرى ربَّنا ؟ وهذه المبادرةُ دليلٌ على امتلاء قلوبهم بالشوق لله.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٤٣٧)، ومسلم في صحيحه برقم (١٨٢) واللفظ لمسلم.

٢. تركيزُ الرسول ﷺ على وضوح الرؤية دليلٌ على أهميّتها وأنها نعيمٌ بحدِّ ذاتِها، فوضوحُ رؤيتِنا لربّنا جل جلاله إذا أكرمَنا بها بفضله هي نعيمٌ، ووضوحُ رؤيةِ الإنسان للصراط الذي يسير عليه في حياته ولأهدافِهِ ولطموحاتِهِ ولعملِهِ هي نعيمٌ يجب أن يسعى الإنسان إليه، من خلال صلاح قلبه ورُقيِّ فكره، والسعي لهذا الهدف وهو وضوحُ الرؤية.

٣. الحديث دلالةٌ على إثبات منهج أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.

٤. دلَّ الحديثُ على الكرم بالعلم وهي صفة النبي ﷺ، فقد كان السؤالُ عن الرؤية، وإذا بالجواب يأتي بأعمّ من ذلك حتى ذكر الصراطَ وأحوالَ الناس يوم القيامة، فعلى الإنسان أن يكون كريماً بالعلم.

٥. «عشطنا يا ربنا فاسقنا» الجسر المنصوب على جنهم وما يحدث عليه، والحرمان من رؤية الله جل جلاله، يبيِّن الخللَ الذي يعيش به من قدَّم الدنيا على الآخرة وأعرضَ عن طريق الله.

٦. دلَّ الحديثُ على أن المعبوداتِ تخذِلُ أصحابَها أشدَّ ما يكونون حاجةً لها، ولهذا يتساقطون معهم في النار، ولا ينفع الإنسان في حاجته إلا عبادته لربه.

٧. دلَّ الحديثُ على أن أهلَ الأوثان أوّلُ مَن يَرِدُ النارَ من أهل المِلل، وذلك لأنهم خالَفوا العقلَ والدينَ والشرائعَ والمِلَلَ.

٨. في قوله: «كذبتم» إشارةٌ إلى أن الكذبَ على الله والقولَ عليه سبحانه بغير علم هو جِماعُ خصالِ أهلِ النار.

٩. في الحديث أن الناجين من العذاب في الآخرة يمرُّون على الصراط بسرعة كالبرق، وكأجاود الخيل، وهذا حالُهم في الدنيا في السرعة والمسابقة في طاعة الله، والجزاء من جنس العمل.

١٠. العجَبُ ممَّن يسيء الظنَّ بالله جل جلاله وممّن يشجّع على إساءةِ الظنِّ بالله جل جلاله من خلال ما يُطرح، فكم يُخرِجُ اللهُ من النار في هذا الحديث ؟ وهذا لنعرفَ فضلَ الله وكرمَ الله ووجوبَ إحسانِ الظنِّ بالله جل جلاله.

١١. حبلُ الرياءِ قصيرٌ، ومهما كانت نتائجُهُ قصيرةَ الأجلِ فإن عواقبَه وخيمةٌ وفضيحتَه كبيرةٌ، فالمنافق يريد أن يسجدَ أمامَ الخلائق فلا يستطيع أن يسجد، وهو الذي كان يسجد في الدنيا رياءً ونفاقًا.

١٢. «**فارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه**» في هذا أنه في علاقاتِنا يجب ألا نهملَ جوانبَ الخيرِ

الموجودةَ في القلوب، حتى ولو كان الفسادُ هو الطاغي، ولكلٍّ حالةٍ ما يناسبها.

١٣. ليس من أخلاق المؤمنين أن يكون الرجلُ كريماً مع الكريم، لئيماً مع اللئيم ويعامل كلَّ مَن يعاملُهُ بمثل معاملتِهِ له، فالمؤمنون كما أخبر رسول الله ﷺ: يناشدون الله بأشدّ أنواع المناشدة لأقوامٍ لم يسيروا كسيْرهم بل هم في النار، ولكنْ يناشدون الله: كانوا يصومون معنا ويصلّون ويحجّون، ولم ينظروا إلى ما فعلوا ولا إلى سخريتهم ولا إلى ابتعادهم، بل سعوا في إخراج بعضهم من النار.

١٤. في الحديث دلالةٌ على كمال أخوة المؤمنين، ولهذا يناشدون الله لإخوانهم الذين عذَّبهم الله في النار حتى يخرجهم الله من النار، وهذا دليلٌ على أن المؤمنَ عليه أن يستكثرَ من إخوانه في الله.

١٥. دلَّ الحديثُ على أنّ الإيمانَ يربِّي أهلَه وأتباعَه على التميّز عن الناس، فللمؤمن عبادته الخاصّة وله لباسُه الخاص، ولهذا حُرِّم عليه التشبُّه بالغير، جاء في الحديث أنهم قالوا: فارقنا الناسَ أفقرَ ما كنّا إليهم يعني حينما كنّا في الدنيا، ومع هذا فارقناهم، وذلك دليلٌ على التميّز.

١٦. في الحديث دليلٌ على رحمةِ الله بالمؤمنين بكثرةِ الشافعين لهم من الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين.

١٧. في الحديث دلالةٌ على إثبات الشفاعةِ وذِكرِ الشفعاء، وشرطُ الشفاعة: إذنُ الله للشافع ورضاه عن المشفوع، وهذه هي عقيدةُ أهل السنة والجماعة.

١٨. دلَّ الحديثُ على أن رضا الله لا يعادله نعيمٌ، وهو الذي يسعى له المؤمن، ولهذا لمّا أعطاهم ثم أعطاهم قال: أعطيكم ما هو أفضل ممّا لم يُعط أحدٌ من العالمين: رضاي.

١٩. الحسابُ يوم القيامة دائرٌ بين عدل الله وكرمه، فمَن سقطَ في النار عاملَه اللهُ بعدلِهِ، ومَن أُخرِجَ من النار عاملَه اللهُ بكرمِهِ، فلا ظلمَ يوم القيامة البتة.

٢٠. هذه البشائرُ التي حملَها الحديثُ كان مبدأَها سؤالٌ: «**هل نرى ربنا يوم القيامة؟**» فيجب ألا نخاف ولا نُخيف من طرح الأسئلة، فكثيرٌ من النجاحات والمشاريع المميّزة كان مبدأَها تساؤلٌ.

٢١. أكثرُ الأحاديث الطوال في السُّنّة النبوية ما يتعلّق باليوم الآخر والعالَم العلويّ لأهميّته واعتمادِهِ على النقل ولا مجالَ للعقل فيه، لأنَّه من الغيبيّاتِ التي حرصَ النبيُّ ﷺ على توضيحها وتفصيلها.

***

الْقِصَّةُ التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ:

مَا يَحْدُثُ لِلْمَيِّتِ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أُدْنِيَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنِي عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ؟ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُ:

عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بَدَأَ مِنْهُ، فَتُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾(١)، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ:

وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيُقَالُ: الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى

---

(١) سورة إبراهيم:٢٧.

ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهِ لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، فَتِلْكَ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ الَّتِي قَالَ اللهُ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[1] »[2].

وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ: قَالَ أَبُو عُمَرَ -يَعْنِي الضَّرِيرَ-: قُلْتُ لِحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ: كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو عُمَرَ: كَأَنَّهُ يَشْهَدُ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ يَرْجِعُ إِلَى قَلْبِهِ، كَانَ يَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَيَقُولُهُ.

الْفَوَائِدُ:

١. يُقال للمؤمن في قبره: اجلس، فيجلس، وقد مُثِّلت له الشمسُ وقد آذنتْ للغروب، وهذا المنظرُ للشمس وقد آذنتْ للغروب يُشعِر المؤمنَ الحيَّ الآن في حياتِهِ أن العمرَ كأنه يوم، وما أقربَ غروب العمر والانتقال إلى الجنة بإذن الله.

---

(١) سورة طه:١٢٤.

(٢) هذا حديث صحيح، أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٣١٣)، واللفظ له، والطبراني في الأوسط برقم (٧٠٢٥).

٢. في الحديث أهميّة الطاعة وأنها تقفُ مع المؤمن في أحلَكِ المواقف في القبر حينما يبتعد عنه أقربُ الناس، فلا يسمعُ إلا خفقَ نعالِهم مولّين عنه، أما الصلاة والزكاة والصيام فعند رأسه وعن يمينه وشماله، وبقية الطاعات يدافِعنَ ويُحاجِجْن عنه.

٣. في الحديث دلالةٌ على فضل الأعمال الصالحة في مدافعتِها عن صاحبها أحوج ما يكون إليها.

٤. الحديث دليلٌ على أهمية الصلاة من بين سائر الأعمال ولهذا اختُصَّتْ بالرأس، إذ أشدُّ العذاب ما يقع على الرأس، فحَمَتْهُ الصلاةُ من جهةِ رأسه.

٥. في الحديث دلالةٌ على العناية بأركان الإسلام ففيها حمايةٌ لصاحبها، ولم يُذكر الحج - والله تعالى أعلم - لأنه واجبٌ على حسب الاستطاعة.

٦. الحديث دليلٌ على أن هذا الرجل كان مُتعلّقاً بالصلاة، وأن الصلاة هي رأس الأعمال، ولهذا قال: «**لهم دعوني أصلي**»، فلما ثبَّتَهُ اللهُ على صلاته ثبَّتَهُ اللهُ في قبره.

٧. في الحديث دلالةٌ على عالميّةِ رسالةِ النبي ﷺ، لأن كلَّ مَن توفّاه اللهُ من بعد مبعثِهِ عليه الصلاة والسلام سيُسأَلُ عنها وتتوقف

نجاتُه على اتباعِهِ محمدًا ﷺ.

٨. في الحديث دلالةٌ على أنَّ مَن ثبتَ على شيءٍ أماته الله عليه، ثم بعثه الله عليه، فليصحِّحْ الإنسانُ مسارَه في حياته.

٩. «**على ذلك حييت، وعلى ذلك مِتَّ، وعلى ذلك تُبعث**» فيه أن قضيّةَ الثباتِ يجب أن تكون حاضرةً لدى المسلم في دعائه وتعلّقه بالله، وفي ازديادهِ من الأعمال الصالحة حتى يموت على ذلك.

١٠. يأخذُ المسلمُ من هذا الحديث وأمثاله أن هناك مسائل وتفاصيل لو لم ترِدْ بالوحيِ لَمَا جاز له أن يتكلّمَ فيها، كتفاصيلِ حياةِ البرزخِ والآخرة، وإن كان يثبِتُ العقلُ أن هناك مَعاداً وحساباً، ومنه نأخذ أن المسلمَ يربِّي نفسَهُ على الوقوف على الوحيِ فيما ليس للعقلِ مجالٌ فيه.

١١. دلَّ الحديثُ على أنه ما من أحدٍ إلا وله مكانٌ في الجنة ومكانٌ في النار، وهذا دليلٌ على علم الله الواسع، فالله يعلم حالَ العبدِ في كُفرهِ وإيمانِهِ.

***

الْقِصَّةُ الْأَرْبَعُونَ:

الشَّفَاعَةُ الْكُبْرَى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يُجْمَعُ النَّاسُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ﵇ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ

يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغضب بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ الله وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ الله، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا - ﷺ - فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ الله، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ: كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1].

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دليلٌ على مشروعية الهديّة ومشروعية قبولها، كما قبِلَها النبيُّ ﷺ.

٢. في الحديث دلالةٌ على الأكلِ من طيّباتِ ما رزَقَ اللهُ مما يحبُّهُ الإنسان، فالنبي ﷺ نهسَ من الذراع وكانت تعجبه، وهذا من توسعةِ الله على عباده.

٣. دلَّ الحديثُ على بذل العلم في كل مكان، فالنبي ﷺ بذل العلمَ في هذا الحديث وهُم على الطعام.

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٧١٢)، ومسلم في صحيحه برقم (١٩٤).

٤. عند شدةِ الخوف من الحساب لا يتذكّرُ الناسُ إلا ذنوبَهم وخطاياهم، فالأنبياء ذكَروا ما ليس بذنبٍ في الحقيقة أو ذنباً مغفوراً، فما الذي سيتذكّرُهُ غيرُهم من الناس ؟ نسأل الله العفو والعافية.

٥. التقيُّ يتذكّرُ ذنبَهُ فيسيءُ الظنَّ بنفسه، ويذكُرُ حسناتِ غيرِهِ فيُحسِنُ الظنَّ بهم، وهذا حالُ سادةِ الأتقياءِ في هذا الحديث عليهم الصلاة والسلام.

٦. في الحديث إثباتُ صفةِ الغضب لله غضباً يليقُ بجلالِهِ سبحانه، لا يُشبِهُ غضبَ المخلوقين، وأنَّه سبحانه يغضب غضبًا عظيمًا عند الحساب.

٧. الحديث دليلٌ على حِلم الله سبحانه وتعالى، فحتى مع غضبِهِ قال الأنبياء ﷺ: ولن يغضب بعده مثله، وهذا لكمالِ حِلمِهِ سبحانه وتعالى.

٨. لمّا كان الأنبياءُ ﷺ على درايةٍ بمَقامِ الله وما يستحقّهُ من التعظيم اتّحَدَ جوابُهم جميعاً في ذلك اليوم، فكلُّهم قال: «**إنَّ ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي**».

٩. إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم سمّى التعريضَ الذي قام به كذبًا من وَرَعِهِ عليه الصلاة والسلام، فماذا يقول مَن يكذِبُ ليلاً ونهاراً ؟ وماذا يقول مَن يسمّي كذبَهُ ذكاءً ودهاءً ؟

١٠. فيه أن مَن لم يسعَ لغيرِهِ فليقدِّمْ رأياً ناصِحاً وهذا من كمال النصح للإنسان، فكلُّ واحدٍ من الأنبياء ﷺ الذين رفضوا الشفاعةَ نصح الناسَ بأن يذهبوا إلى غيره.

١١. لمّا طلَبَ الناسُ الشفاعةَ من الأنبياء ذكَروا لكلِّ نبيٍّ أبرزَ ما فيه من الفضل، وفي هذا أسلوبٌ جميلٌ لنيْلِ المُرادِ ممّن تريد منه شيئاً بأن تُثنِيَ عليه قبلَ الطلب منه.

١٢. الحديث أصلٌ في فضل أولي العزم من الرسل، ولهذا اتّجه الناسُ إليهم يوم القيامة لِما حباهم اللهُ سبحانه وتعالى من ذكرٍ حسنٍ بين الأمم.

١٣. في الحديث دليلٌ على حاجةِ الخلق لشفاعته ﷺ يوم الموقف، وهُم بحاجةٍ ماسّةٍ لهديِهِ وشريعتِهِ في الدنيا.

١٤. في ذلك الموقف العظيم وقع النبي ﷺ ساجدًا فدعا، ومنه

نأخذ فضلَ السجود لله، وأن الدعاءَ فيه من أعظم المواضع التي تُرجَى فيها إجابةُ الدعاء.

١٥. دلَّ الحديثُ على أن من فتوحات العلم أن يفتحَ اللهُ على عبدِهِ حُسنَ الثناءِ عليه سبحانه، وأن يُلهِمَهُ من أنواع المحامد ما لا يفتحُها على غيره، وأكمل الناس في ذلك النبي ﷺ وسيُفتح له يوم القيامة ما لم يُفتحْ له في الدنيا في ذلك.

١٦. في الحديث دليلٌ على الشفاعة العظمى والمقام المحمود، وهي شفاعته ﷺ لأهل الموقف بأن يبدأ حسابُهم ويُفرَّج عنهم ما هم فيه.

١٧. لماذا نشرِّق ونغرِّب في البحث عن قدوات ؟ والبحث عن الأساليب ؟ والبحث عن الأقوال ؟ ونبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم سيّدُ الناس يوم القيامة، فلنعِشْ مع سيرة سيّد الناس.

١٨. في الحديث دلالةٌ على رأفة النبي ﷺ بأمّته وشفقته عليهم فالناسُ عامّةً طلَبوا منه الشفاعة، وأولُ ما بدأ به النبي ﷺ هو قوله: «أمتي أمتي» لكمالِ رحمتِهِ ومحبتِهِ لأمّته.

١٩. الله سبحانه هو مَن يأذن للشافع أن يشفع، وهو سبحانه

مَن يرضى على المشفوع أن يشفع له، فالشفاعة محضُ فضلٍ من الله سبحانه وتعالى، يقول الله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾(١).

٢٠. من خصوصيّات النبي ﷺ أنه غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وهذه ليست لغير النبي ﷺ، ومن لطائف المحدّثين قولُهم: كلُّ حديثٍ من فضائل الأعمال فيه "غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر" غير النبي ﷺ فهو موضوع.

٢١. دلَّ الحديثُ على سعة الجنة وهذا من رحمة الله وفضله، فقد ذكَرَ في الحديث أن ما بين مصراعيْن من مصاريع أبواب الجنة كما بين مكة وهجر من بلاد الأحساء، أو ما بين مكة وبصرى من بلاد الشام، وهي تُقدَّر بالمسافات العصريّة أكثر من ألفٍ ومئتيْ كيلو متراً، هذه سعة الباب، أما الجنة فعرضُها كعرض السماء والأرض.



(١) سورة الزمر:٤٤.

الْقِصَّةُ الْحَادِيَةُ وَالْأَرْبَعُونَ:

آدَمُ وَمُوسَى عليهما السلام وَهُمَا يَحْتَجَّانِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ! فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[1].

الْفَوَائِدُ:

١. دلَّ الحديثُ على علوِّ جاهِ موسى عليه السلام عند ربه، فموسى يحاجُّ ربّه ويحاجُّ أباه، ومع هذا الله يغفر له، وهذا دليلٌ على أن مَن أحبَّه اللهُ غفَرَ له.

٢. سمَّى موسى عليه السلام الخروجَ من الجنة خيْبةً، والخيبةُ هي الخسران العظيم، وكذلك سيَخِيبُ مَن يُحرَم من دخولها يوم الحساب.

٣. في الحديث دلالةٌ على ثناء الأب على ابنه، فآدمُ عليه السلام أثنى على

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٠٩)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٢).

ابنِهِ موسى ﷺ بصفاتٍ هي فيه، وفي هذا درسٌ في تواضعِ أبينا آدم، وفيه تربيةٌ وحثٌّ لأبنائِهِ على عبودية التواضع.

٤. ظهر في الحديث جليًّا حكمةُ الآباء، فعلى الأبناء أن يتفهَّموا حكمةَ آبائهم وأن لا يستعجلوا بمعارضتهم.

٥. في الحديث إثباتُ صفة اليد لله سبحانه وهي يدٌ حقيقيةٌ لائقةٌ بجلال الله، لا تُشبِهُ صفاتِ المخلوقين.

٦. في الحديث إثباتُ صفةِ الكلام لله، وأن الكتبَ المنزَّلةَ على الرسل ﷺ هي من كلام الله المنزَّل وليست مخلوقة.

٧. دلَّ الحديثُ على أن تكليمَ الله لعباده في الدنيا هو اصطفاءٌ وتكريمٌ، وكذلك تكليمُهُ لهم في الجنة ورؤيتُهم له هو أعظمُ تكريمٍ وأعظمُ اصطفاءٍ، نسأل الله من فضله العظيم.

٨. في الحديث اختلافُ طريقةِ نزول الوحي على الأنبياء، فمن الوحيِ ما سمِعَهُ جبريلُ ﷺ من الله، ثم أسمَعَهُ الأنبياءَ، ومنه ما نزل مكتوباً بيَدِ الله في صحفٍ مثل التوراة.

٩. في الحديث إشارةٌ إلى طريقةٍ من طرقِ التعلّم وهي الجدالُ والحوارُ، مثل الذي جرى بين أنبياء الله آدم وموسى ﷺ.

١٠. في الحديث دليلٌ على الإيمان بالقدَر، وأن كلَّ شيءٍ مقدَّرٌ قبل خلقِ الناس.

١١. في الحديث دليلٌ على عظيم شؤم المعصية، وأن أثرَها يتجاوز فاعلَها إلى ذريّته.

١٢. في الحديث إثباتُ أن الجنةَ التي أُخرج منها آدم هي جنة الخلد التي وُعد المتقون، وهي الجنة التي يدخلها المؤمنون والمسلمون في الآخرة خلافاً لَمَن قال من المعتزلة وغيرهم إنها جنةٌ أخرى وقول بعضُهم هي في الأرض.

١٣. في الحديث مشروعيّةُ مُناظَرةُ العالِمِ لَمَن هو أكبرُ منه ومَن هو أعلم منه، ومشروعيّة مناظرةُ الابنِ لأبيهِ وذلك مشروطٌ بأن تكون النيّةُ إظهارَ الحقّ والازديادَ من العلم.

١٤. قال ابن حجر ﷺ: فيه أنه يُغتفر للشخص في بعض الأحوال ما لا يُغتفَرُ في بعض، كحالةِ الغضبِ والأسف، خصوصاً ممّن طُبِعَ على حدّةِ الخُلق وشدةِ الغضب، فإن موسى ﷺ لّما غلبتْ عليه حالةُ الإنكارِ في المُناظَرة خاطبَ آدمَ مع كونِهِ والده باسمِهِ مجرّداً، وخاطبَه بأشياء لم يكنْ يخاطَبُ بها في غير تلك الحالة، ومع ذلك فأقرّه على ذلك وعدلَ إلى معارضَتِهِ فيما أبداه من الحجّة في دفع شبهته.

١٥. يجوز الاحتجاجُ بالقدَر على المصائبِ لا على المعايب والذنوب، والمُحاجّةُ هنا وقعتْ في الجائز من الاحتجاج بالقدَر وهو نتيجةُ فعلِ المعصية، أي: خروج آدم من الجنة، أو أن نقول: إنها كانت على ذنب تابَ منه آدم عليه السلام، وليس احتجاجاً بالقدَر على فعلِ المعصية، أو الاستمرار عليها، فهذا لا يجوز قطعاً.

١٦. من الأساليب اللغويّة التي تدلُّ على توكيدِ الكلامِ هو تكرارُهُ.



الْقِصَّةُ الثَّانِيَةُ وَالْأَرْبَعُونَ:

الْأَرْبَعَةُ الَّذِينَ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونَنِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا سُحِبَ إِلَيْهَا»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث كمالُ عدلِ الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يؤاخِذ أحداً ولا يعذّبُهُ إلا بعد إقامةِ الحجّة عليه، فهؤلاء لم يُعذِّبهم إلا بعد أن أخذَ عليهم الميثاق.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٦٥٥٩)، والبزار في مسنده برقم (٩٥٩٧)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٤٠٤)، والبيهقي في الاعتقاد عن أبي هريرة وعن الأسود برقم (١٢٠)، وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

٢. دلَّ الحديثُ على أن الإنسانَ لا بدَّ له من اختبارٍ وامتحانٍ في هذه الدنيا، فليكنْ المؤمنُ على قدر الاستعداد لذلك، هؤلاء أصحاب الأعذار حتى في الآخرة لم يدخلوا الجنة والنار إلا بعد امتحانهم.

٣. دلَّ الحديثُ على أن الأمرَ كلَّهُ يرجع إلى طاعة الله، هؤلاء الذين اختُبِروا إنَّما اختُبِروا في طاعتهم لله، فمَن أطاع الله أدخله الجنة.

٤. دلَّ الحديثُ على أن الأمورَ لا تُقاسُ بظاهرها وإنما تُقاسُ بموافقتِها لشرعِ الله، فمَن وافقَ شرعَ الله ففيه الخير، فالذين امتُحِنوا إنَّما امتُحِنوا بشيءٍ ظاهِرُهُ يُخالِفُ هوى النفس، لكن فيه الخير لأنه وافقَ شرعِ الله.

٥. دلَّ الحديثُ على أن طاعةَ الله إنما تكون بمُخالِفةِ الهوى، فالنفسُ لا تريدُ دخولَ النار، بينما هي في الحقيقة ليست ناراً، فمَن أطاعَ اللهَ وخالَفَ هواه أدخلَه اللهُ جنّتَه.

٦. اللهُ العظيمُ له المُلك التامُّ ومع ذلك من تمام رحمتِهِ وعدلِهِ يسمح لهؤلاء أن يُبدوا أعذارَهم، وهذا يعطينا توجيهاً بأن نستمعَ للناس ونسمعَ حُجَجَهم وأعذارَهم قبل الحُكمِ عليهم ومحاسبتهم.

٧. دلَّ الحديثُ على أن الدارَ الآخرةَ لا عاهةَ فيها، ففيها يعقل المجنونُ ويُبصر الأعمى ويسمعُ الأصمُّ، وذلك حتى تُقام حجّةُ الله على عباده.

***

الْقِصَّةُ الثَّالِثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ:

الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى عقَارًا فَوَجَدَ فِيهَا جَرَّةً مِنْ ذَهَبٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث أنه ليس كلُّ خلافٍ بسببِ خصومةٍ أو عداوةٍ، بل قد يكون بسببِ التسابقِ على فعل الخيرات، وهذا يكون عند أهل المراتب العالية.

٢. في الحديث دلالةٌ على مشروعية الصلح بين المتخاصمين، وهو عملٌ جليلٌ يحتاج إلى علم وتقوى، فقد وُفِّق الحاكمُ في هذا الحديث إلى الصلح بينهما.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٧٢)، ومسلم في صحيحه برقم (١٧٢١).

٣. في الحديث أهميّةُ البحثِ عن أهلِ الحكمةِ والرأيِ السديدِ عند الاختلاف، فهذا الرجلُ استطاع أن يجمع بينهما وينفق المالَ على أولادهما.

٤. في الحديث أن المتخاصمين إذا حَكَّما بينهما مَن له أهليةٌ للحُكم صحَّ ولزِمَهما حكمُهُ ما لم يكنْ هذا الحُكْم جوراً وظلماً، وبذلك قال الإمامُ مالك وبعضُ أهل العلم.

٥. في الحديث مشروعيةُ التحاكمِ بين المتبايعيْن عند الاختلاف.

٦. في الحديث مشروعيةُ الإيثارِ وتقديم الغير على النفس كما سأل المتبايعان.

٧. في الحديث فضلُ تزويجِ الشبابِ والحثُّ على ذلك، والحثُّ على الإنفاق على تزويج الشباب المسلم، وذلك أن هذا القاضي رأى أن الحُكْمَ الصالحَ أن يُزوِّجَ الغلامُ بالجارية من هذا المال الذي ليس لأحد.

٨. في الحديث أيضاً بيانٌ أن مَن ترك شيئاً لله عوَّضَهُ اللهُ خيراً منه، لمّا ترك هذان الرجلان هذا المالَ الكثيرَ والذهبَ الكبيرَ جازاهما الله بأن أُنفَقَ على أولادِهما منه، فرجع الإنفاقُ إليهما.

٩. في الحديث دلالةٌ على أثر صلاح الوالد، وأن ذلك يتعدّاهُ إلى ذرّيّتِهِ، فوَرَعُ الوالديْن عن الحرام نتجَ عنه إعفافُ الذريّة بالزواج وإغناؤهم بالمال.

١٠. في الحديث دلالةٌ على أن العملَ الصالحَ كما أن له جزاءً أخرويّاً فكذلك له جزاءٌ وأثرٌ في الدنيا.

١١. في الثقافةِ الماديّةِ التي مبلغُها من العلم الحياة الدنيا يُعَدُّ ما صنعَهُ الرجلان من باب تضييعِ الفرص، وأما مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويُؤثِرُ الحياةَ الآخرةَ على الدنيا فإنه يرى ما صنعاه فوزاً ونصراً على الشهوة.

***

الْقِصَّةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ:

الرَّجُلُ الَّذِي زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث فضلُ زيارةِ الإخوان في الله، لا لمصلحةٍ دنيويّةٍ بل تكون خالصةً لله.

٢. قول النبي ﷺ: «زار أخًا له في قرية أخرى» بيانٌ بأن هذا الرجلَ تحمَّلَ المشقةَ والتعبَ من أجل زيارة أخيه في الله، فكان جزاؤه عظيماً.

٣. في الحديث أن من الملائكةِ رسلاً يبشِّرون الناسَ بالخير.

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٦٧)، وأحمد في مسنده برقم (٩٤١٤).

٤. في الحديث دليلٌ على مشروعيّةِ سؤالِ مَن تلقى في السفر عن جهتِهِ وقصدِهِ في هذا السفر إن كان هناك مصلحة.

٥. في الحديث أن من الأعمال ما يراها المسلمُ قليلةً في نظرِهِ ولكنّها عند الله عظيمة، فزيارةُ أخٍ في الله جعلتْ ملائكةً تنزِلُ من السماء تبشِّرُ بأعظم كرامةٍ وهي حبُّ اللهِ لهذا العبد.

٦. يُؤخَذ من هذا الحديث أن على الإنسان أن ينويَ بزيارتِهِ لإخوانِهِ وخصوصاً المتكرّر منها أن تكون زيارةً لله وفي الله لكيْ ينالَ شيئاً من هذا الأجر العظيم.

٧. دلَّ الحديثُ على سموّ علاقةِ الحبّ في الله على باقي العلاقات، ولذا اختصَّها اللهُ بهذا الأجر العظيم وأرسلَ رسلاً يبشّرون المتحابّين في الله، وجعلَها من حديثِ خاتمِ الرسل ﷺ لتبقى مُحفّزةً مبشّرةً، وهذا سوى ما ادَّخَرَهُ اللهُ لها من الأجر العظيم يوم القيامة.

٨. قد تكون الزياراتُ لله ويشوبُها شيءٌ من الدنيا، وقد تكون للدنيا فقط، وقد تكون لله فقط، فأكَّدَ هذا الحديثُ أن هذه من أعلى أنواعِ درجاتِ الزيارةِ وهي أنها لله، واعترَضَ عليه وسألَه المَلَكُ: هل لك من نعمة ؟ قال: لا، فتمحَّضَتْ هذه الزيارةُ لله.

٩. الله سبحانه وتعالى عليمٌ، وهو عليمٌ بحال هذا الرجل حينما زار أخاه، وأنه إنما زارَهُ لله لا لنعمةٍ يربُّها عليه، ومع هذا فالمَلَك سألَ هذا الرجل، ومن فوائد هذا السؤالِ تثبيتُ هذا الرجل على الحبِّ في الله حينما علِمَ جزاءَه.

١٠. إذا كان هذا الرجلُ زارَ أخاً واحداً لله زيارةً واحدةً كان جزاؤه هذا الجزاءَ العظيم، فكيف بمَن تكون زياراتُهُ كلُّها لله وصدقاتُهُ كلُّها لله عز وجل ؟ وأيضاً تكون للصالحين ؟

١١. دلَّ الحديثُ على أن من شكرِ الله لعبده ما يكون عاجلاً، ومن ذلك الحبُّ في الله، فجزاؤه جزاءٌ عاجلٌ، فالرجل زارَ أخاه فأدرَجَ اللهُ على طريقِهِ ملَكاً.

١٢. في الحديث إشارةٌ أن أكثرَ علاقاتِ الناس على المصالح، لذلك سأله: هل لك عليه من نعمةٍ تربُّها ؟

١٣. في الحديث أن أصلَ الأخوّةِ في الله قائمٌ على المحبّةِ في جلالِ الله سبحانه، قال الرجل: لا، غيرَ أني أحببتُهُ في الله.

١٤. في الحديث أن الجزاءَ من جنس العمل، فكما أن هذا الرجلَ أحبَّ أخاه في الله أخبرَهُ المَلَكُ أن اللهَ أحبَّهُ.

١٥. في الحديث دلالةٌ على أن اللهَ يُحِبُّ وله صفة المحبة، وهذا محفِّزٌ للمؤمن على العمل الصالح وعلى البحثِ عما يحبُّهُ الله من الأعمال الصالحة.



الْقِصَّةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ:

فَرْحَةُ اللهِ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ، وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ، وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»(١).

وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالنُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، وَفِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ عَنْ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ: «فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهم أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٠٨)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٤٤)

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث إثباتُ صفة الفرَحِ لله، فرحٌ يليق بجلاله.

٢. قال في الحديث: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن**» وهذا دليلٌ على أنه لا غِنى لأحدٍ عن التوبة وهو مؤمنٌ أن اللهَ يفرح بتوبته، فالتوبة ضرورةٌ للمؤمن.

٣. في الحديث دليلٌ على فضل التوبة ومنزلتها عند الله وفرحه بها.

٤. في الحديث أن مَن بذلَ وسعَهُ في طلبِ حاجتِهِ مع توكُّلِهِ على الله فإن اللهَ سيوفّقه إلى مراده، وإن كان وسعُهُ وجهدُهُ دونَ بلوغِ مُرادِهِ.

٥. في الحديث دلالةٌ على أن فرجَ الله يأتي أحوجَ ما يكون إليه العبدُ، قال في الحديث: «**قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها**» فجاءه فرجُ الله في اللحظةِ التي كان هو أحوجَ ما يكون إلى الفرج.

٦. من حكمة الرجلِ عودتُه إلى مكانِهِ الذي فقد فيه راحلتَه، لأنه من عادةِ الإبلِ عودتُها إلى الأمكنةِ التي كانت فيها.

٧. دلَّ الحديثُ على صفةٍ عند الإنسان وهي سرعةُ يأسِهِ، فما أسرعَ ما دخلَ اليأسُ إلى قلبِ الرجل حتى ذهب إلى الشجرةِ ليضطجعَ استسلاماً للموت.

٨. شبَّه الحديثُ الرجلَ التائبَ بمَن معه راحلته وطعامه وشرابه، وفي هذا إشارةٌ إلى أن التائبَ معه من الأعمال الصالحة ما يكون طعاماً وشراباً ومركوباً له يلقى به ربَّه، ومن أعرضَ عن التوبة فإنه لا زادَ معه ولا مركوب.

٩. دلَّ الحديثُ على عظيم كرم الله ورحمته الواسعة وفضله العظيم حيث وفَّقَ عبدَه للتوبة وهيّأ له أسبابَها وتقبَّلها منه وفرِحَ بها بعد ذلك كلّه، فيا لله ما أعظمَ ربّنا وما أرحمَه وما أكرمَه.

١٠. دلَّ الحديثُ على أن العبدَ المسلمَ إذا وقعَ في الكفرِ مُخطِئاً أو ناسياً لا يُؤاخَذ بذلك، هذا الرجل قال كلمةً كفريّةً: أنت عبدي وأنا ربك، فلم يؤاخذْهُ اللهُ بذلك.

١١. في الحديث دليلٌ على عفو الله عن الخطأ، قال: «**أخطأ من شدة الفرح**».

***

الْقِصَّةُ السَّادِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ:

الدَّجَّالُ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَنُزُولُ عِيسَى عليه السلام

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ! فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لُبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ

فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ، رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً

مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١).

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٣٧)، والترمذي في جامعه برقم (٢٢٤٠)، وابن ماجه في سننه برقم (٤٠٧٥)، وأحمد في مسنده برقم (١٧٩٠٤)، وغيرهم.

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث أهميّةُ علمِ أشراط الساعة ومعرفةِ ما يحدث من الفتن والملاحم في آخر الزمان، فقد كان رسول الله ﷺ يعلِّمها أصحابَه رضوان الله عليهم.

٢. في الحديث دلالةٌ على الوعظ بعد الفَجر، لقوله: ذكر لنا النبي ﷺ الدجّالَ ذات غداة، وهذا دليلٌ على أن الفجرَ حياةٌ ووقتٌ مباركٌ لنشر العلم.

٣. فيه حُسنُ تواصلِ النبي ﷺ مع أصحابه ولِينُ جانبِهِ معهم حتى جرّأهم ذلك على مراجعته وإخباره بما في نفوسهم بعد سماعِهم لحديثه.

٤. في الحديث حرصُ الصحابة على العلم وامتثالُهم في تطبيقه، فإنهم لا زالوا يتفكّرون في وصف النبي ﷺ للدجّال حتى جاؤوه ليخبروه عمّا في نفوسهم.

٥. دلَّ الحديثُ على التشديدِ في ذِكرِ الدجّال وتهويلِهِ وتقريبِ أمرِهِ حتى قال الصحابة رضي الله عنهم: ظننّاهُ في طائفة النخل، أي: أن الدجّالَ موجودٌ في ناحيةِ نخلِ المدينة.

٦. قول النبي ﷺ: «**وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه**» فيه خطورةُ الفتن، ومسؤوليّةُ كلِّ شخصٍ عن نفسه، والأهمّيّة الشديدةُ للعلمِ والحُجّة، والثباتُ الذي يقي من الفتن.

٧. قال النبي ﷺ للصحابة: «**يا عباد الله فاثبتوا**» لذلك يجب على العلماء والمربّين عند كلِّ فتنةٍ تذكيرُ الناس بهذه الوصيّة العظيمة.

٨. فيه بيانُ مكانةِ الصلاة وأهميتها عند الصحابة، فعندما ذكرَ النبيُّ ﷺ طولَ أيام الدجّالِ لم يسألوا إلا عن الصلاةِ كيف يؤدّونها في وقتها، واستدلَّ بهذا الحديث بعضُ أهل العلم في توقيتِ الصلاةِ في المناطقِ التي يستمرُّ فيها الليلُ لأشهر، وكذلك النهار.

٩. كلُّ نبيٍ من الأنبياء حذَّر قومَه من فتنة الدجال بعظيم خطرها، لكنّ بيانَ النبيِّ ﷺ وتحذيرَه لأمته هو أعظمُ وأكملُ بيانٍ لكونه ﷺ خاتم الأنبياء، ولأن أمتَه هي الأمّةُ التي ستعاصِرُ الدجال.

١٠. يُجري الله على يديْ الدجالِ بعضَ الخوارق فتنةً للناس وتمحيصاً للمؤمنين وتمييزاً للخبيث من الطيب، ولله الحكمة البالغة فهو الحكيم الخبير.

١١. الدنيا لا تساوي عند الله شيئاً، ولذلك أعطاها للدجّالِ ومَن افتتنَ به، ومنعَها عمّن ردَّ على الدجّالِ قولَه، فادَّخَر لهم الفوزَ بالجنة وهي جائزةُ الله لعباده المخلصين.

١٢. الشامُ وجزيرةُ العرب لهما أهميّتهما الخاصّةُ في ديننا، فهُما مَهدُ النبوّات ومهبطُ الرسالات، وفيهما المساجدُ الثلاثة التي يُشدُّ إليها الرحال، ويتبيّن من هذا الحديث وغيره من أحاديث أشراط الساعة أنَّهما جغرافيّتا آخِرِ الزمان ومستودَعُ أحداثِهِ.

١٣. في الحديث إشارةٌ إلى بركةِ هذه الأمة، وأن الخيرَ باقٍ فيها حتى في عصور الفتن والملاحم.

١٤. في الحديث إشارةٌ إلى معرفة المربّي لأتباعِهِ وما يظهرُ في وجوهِهم من الخوف أو الفرح، قال في الحديث: فعرف ذلك فينا، ولذا عالجَهُ.

١٥. دلَّ الحديثُ على رحمةِ النبي ﷺ بأمته، ولهذا قال: «**وإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم**» وهذه صورةٌ من صور الرحمة، والنبيُّ ﷺ أمَنةٌ لأمتِهِ ما كان حيّاً، فلمّا مات أتى أمّتَهُ ما يوعدون.

١٦. دلَّ الحديثُ على شدةِ فتنةِ الدجالِ وأن كلَّ شخصٍ حجيجُ

نفسِهِ، فيُوكَلُ الإنسانُ إلى قوةِ إيمانِهِ ويقينِهِ، ولهذا يُفتَن مَن يُفتَن.

١٧. دلَّ الحديثُ على قلَّةِ أيامِ الدنيا وعلى صغرِها، فتحذيرُ النبيِّ ﷺ من الدجّالِ كأنَّه سيخرَجُ في زمانه حتى أنه شبَّهَهُ برجلٍ يعرفونه مع أنه لن يخرجَ إلا في آخِرِ الزمان، وهذا يدلُّ على سرعةِ انقضاءِ الحياة الدنيا.

١٨. دلَّ الحديثُ على أن القرآنَ ينجي من الفتن، فأكبر الفتن هي الدجال ومع هذا يزول شرُّهُ إذا قرئ عليه فواتحُ سورة الكهف، فكيف بما هو أدنى من الدجال ؟

١٩. في الحديث دلالةٌ على عدم الاغترارِ بمظاهر الدنيا، فمَن آمَنَ بالدجّالِ فتحَ اللهُ عليه المال لكنّ مآلَهُ إلى النار، فليست مظاهرُ الدنيا هي الميزان.

٢٠. خصَّ اللهُ تعالى فواتح سورة الكهف أن تكون عاصمةً من الدجال وفتنته، فحريٌّ بالمؤمن أن يحفظَها وأن يعرفَ معانيَها وأن يتدبّرَها.

٢١. في الحديث إشارةٌ إلى أن خسارةَ الدنيا وما عليها أهونُ من خسارة الآخرة، ولذلك فإن مَن عصى الدجال فقد خسر دنياه، لكنّه فاز فوزاً عظيماً في أُخراه.

٢٢. في الحديث إشارةٌ إلى بركةِ الأراضي المقدسة، فكما أن مكةَ والمدينةَ حِرزٌ للمؤمنين من الدجال فكذلك الطورُ حِرزٌ للمؤمنين من يأجوج ومأجوج.

٢٣. دلَّ الحديثُ على أن الله يقبض ويبسط، فيبسط اليوم من أيامِ الدجال حتى يكون كالسنة، ثم يقبضه حتى يكون كاليوم، وهذا من تمام قدرة الله سبحانه وتعالى.

٢٤. الحديث صريحٌ في إثباتِ نزول عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان، وعلى هذا عقيدة أهل السُّنّة والجماعة.

٢٥. الصابرون على الفتنةِ آخِرَ الزمان يُشبِهون الصابرين عليها أولَ الإسلام حين غُربتِهِ، أولئك يبشّرهم عيسى بمنازلِهم كما بشَّر النبي ﷺ أولئك أيضاً بمنازلهم، فالإسلام بدأ غريباً وسيعودُ غريباً.

٢٦. في الحديث دلالةٌ على تتابُعِ الفتنِ آخر الزمان، فما أن انتهَوْا من أمرِ الدجّالِ حتى خرجَ يأجوج ومأجوج.

٢٧. في آخِرِ الزمان فتنةُ الرخاء تأتي مع الدجال فمَن تبعَهُ أقبلتْ عليه دنياه، ثم تتبعُها فتنةُ الضراءِ بيأجوج ومأجوج فيقتلون الناس، والمؤمن ثابتٌ على دينِهِ في الفتنةِ الأولى والفتنة الثانية.

٢٨. تحصُّنُ المؤمنين مع عيسى ﷺ آخر الزمان بالطورِ دليلٌ على أن الهروبَ فيه نجاةٌ من الفتن، فليست النجاة دائماً في مواجهةِ الباطل، إنما بالهروب أحياناً والثباتِ على الإسلام.

٢٩. من الحكمة تحريزُ المؤمنين وإبعادُهم عن العدوّ الذي لا قِبَلَ لهم به.

٣٠. لا يتصدّى للدجال قبل عيسى ﷺ إلا شابٌّ، وهذا يدلُّ على أن الشبابَ هُم الأقدرُ على مواجهةِ الصعابِ وتقديمِ المبادراتِ الكبرى عند الأزمات.

٣١. تكرَّرَ في الحديث قوله: «**فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه**» ولم يقلْ: فيدعو، وأحدَ أسرار ذلك: أن دعاءهم كان دعاءَ مضطرٍّ بلغَ الفاقة، فهو دعاءٌ مع إقبالٍ وطلبٍ وهذه هي الرغبة.

٣٢. في الحديث فضلُ الدعاء والتضرع إلى الله وأنه مُنجٍ من الفتن، ومن ذلك دعاءُ نبيِّ الله عيسى ﷺ على يأجوج ومأجوج حتى ماتوا، وأيضا تضرُّعُهُ إلى الله ومَن معه من المؤمنين حتى يخلِّص الأرضَ من نَتَنِهم بعد موتهم.

٣٣. قال في الحديث: «**فيرغب نبي الله وأصحابه**» فلِشدّةِ ما هُم

فيه من البلاء والفتن والجوع والحصار دعَوْا الله مع نبيّهم، وإلا فإن عيسى نبيٌّ من أنبياء الله مُستجابُ الدعوة.

٣٤. في الحديث دلالةٌ على فقهِ مواجهةِ الباطل ومقاومته، فنبيُّ الله عيسى قاتلَ هو ومَن معه الدجال، لكنّه لم يقاتلْ يأجوجَ ومأجوج وذلك لاختلافِ موازين القوى.

٣٥. ما أهونَ هلاكَ الأممِ الكافرةِ على الله، قومٌ مثل يأجوج ومأجوج يشربون بحيرةً كاملة يُهلِكُهم الله في يومٍ واحد.

٣٦. دلَّ الحديثُ على أن امتلاءَ الأرضِ بالكفر والظلم مع يأجوج ومأجوج منعَ الأرض من إخراج بركتِها، فالأرض تمنع بركتَها عمّن عصى الله عليها.

٣٧. في الحديث إشارةٌ إلى بركة المطر، ففيه تطهيرٌ للأرض بإذن الله من القذر والدنس كبقاءِ يأجوج ومأجوج، كما أن اللهَ يجعله سبباً في إخراج بركات الأرض وزروعها.

٣٨. في الحديث إشارةٌ إلى ضَعفِ إيمانِ الناسِ قبلَ قيام الساعة، ويدلُّ عليه أنه مع ظهورِ الحقائق للعَيان ووضوحِها كنزول عيسى عليه السلام ووضوحِ صفاتِ الدجال، ومع ذلك يُوجَدُ مَن يزيغ ويهلك.

٣٩. سمَّى اللهُ سبحانه وتعالى أتباع عيسى ﷺ (عبادي) فعرَّفَها بالإضافة، ومعناها العبوديّةُ الاختياريّة، وسمّى يأجوج ومأجوج (عباداً) فقال: عباداً لي، فنكَّرَها، ومعناها العبوديّةُ الاضطراريّة، كعبوديّة الجمادات والبهائم، لأنهم خلْقٌ من خلقِ الله.

٤٠. في الحديث أن المؤمنَ أمانٌ للدنيا من قيام الساعة، فلا تقومُ الساعةُ وفي الدنيا مؤمنٌ يذكرُ الله.

٤١. في الحديث لُطفُ الله بالمؤمنين بقبض أرواحِهم قبلَ قيامِ الساعة لهولِ المشهد.

***

الْقِصَّةُ السَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ:

تَمِيمٌ الدَّارِيُّ وَقِصَّتُهُ مَعَ الْجَسَّاسَةِ وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ

عَنْ عَامِرِ بْنِ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيِّ، أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ فَقَالَ: حَدِّثِينِي حَدِيثًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا تُسْنِدِيهِ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَقَالَتْ: لَئِنْ شِئْتَ لَأَفْعَلَنَّ، فَقَالَ لَهَا: أَجَلْ حَدِّثِينِي، فَقَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ**»، فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «**انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ**»، وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: «**لَا تَفْعَلِي، إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ، وَلَكِنِ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ عَبْدِ**

اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ»، (وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ، فِهْرِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ)، فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامٍ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَؤُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ، انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا، فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ،

فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وَثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتِ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ

يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ، فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ»، (يَعْنِي الْمَدِينَةَ)، «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟»، فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ: أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا، بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

---

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٤٢)، وأبو داود في سننه برقم (٤٣٢٥)، وابن ماجه في سننه برقم (٤٠٧٤)، وغيرهم.

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث دلالةٌ على طلَبِ علوّ الإسناد، فعامرُ بن شراحيل أراد حديثاً عاليَ الإسنادِ من فاطمة رضي الله عنها.

٢. فيه ثناءُ المرأةِ على زوجها، قالت فاطمة عن زوجها ابن مغيرة: وكان من خيار شباب قريش يومئذ.

٣. في الحديث دلالةٌ على أنه من كمال عقلِ المرأة أن تثنيَ على طليقِها بما هو فيه، ففاطمة رضي الله عنها أثنَتْ على ابن المغيرة فقالت: وكان من خيار شباب قريش يومئذ، ثم قالت بعد ذلك: فلما تأيَّمْتُ، أي: تطلّقتُ، كما بيّنَتْهُ الروايةُ الأخرى في صحيح مسلم.

٤. قالت فاطمة بنت قيس: وخطبَني رسولُ الله ﷺ لأسامة بن زيد، وذكرت قوله: «**من أحبني فليحب أسامة**» وفيه دليلٌ على حبِّ الصحابةِ العظيم للرسول ﷺ ولِما يحبُّهُ رسولُ الله ﷺ .

٥. فيه انتشارُ خبرِ محبّةِ النبيّ ﷺ لأسامة بن زيد، وهذا دليلٌ على أن محبّةَ المربّي لبعضِ أتباعه أمرٌ له اعتباراتُهُ.

٦. في الحديث دلالةٌ على توكيل المرأة الثيّبِ أمرَ زواجِها لَمن تثِقُ به من المسلمين، قالت فاطمة رضي الله عنها للنبي ﷺ: أمري بيَدِك.

٧. دلَّ الحديثُ على السعيِ في حوائج الناس، فالنبي ﷺ كان يسعى بنفسِهِ في تزويج زيد رضي الله عنه.

٨. دلَّ الحديثُ على إنفاقِ المرأة على ضيوفها وذلك من مكارم الأخلاق، فأمُّ شريك كانت كذلك رضي الله عنها.

٩. في الحديث دلالةٌ على احتشام المرأة عند الأجانب لقول النبي ﷺ لفاطمة: «**أكره أن يسقط عنك خمارك أو أن ينكشف الثوب عن ساق**».

١٠. دلَّ الحديثُ على جواز انتقالِ المرأة إلى عصبتها إن أُمِنتْ الفتنة وإذا لم يكن هناك أحدٌ من محارمها، ففاطمة رضي الله عنها انتقلتْ إلى ابنِ أمِّ مكتوم وهو ابنُ عمٍّ لها.

١١. خِطبة عبد الرحمن بن عوف ونفرٌ من الصحابة وخِطبة النبي ﷺ محمولةٌ على أن أحدَهم لا يعلمُ عن الآخر، لأن الشريعة نهتْ عن خِطبةِ الرجل على خِطبةِ أخيه.

١٢. فيه جوازُ محادثةِ الرجل للمرأة الأجنبيّةِ للحاجةِ وعلى قدْرِ الحاجة، فقد كلَّمَ النبيُّ ﷺ فاطمة رضي الله بشأن خِطبةِ مولاه أسامة بن زيد.

١٣. دلَّ الحديثُ على أن المرأةَ المُطلَّقةَ طلاقاً بائناً ليس لها سُكنى، ولهذا انتقلتْ فاطمة رضي الله عنها إلى بيتِ ابنِ أمِّ مكتوم.

١٤. استدلّ بهذا الحديث مَن قال بجواز خِطبة المرأة المطلقة طلاقاً بائناً، وذلك لقول فاطمة رضي الله عنها: فلما تأيَّمتُ، أيْ: تطلّقتُ الطلاقَ البائن، كما توضِّحُهُ الروايةُ الأخرى: خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب النبي ﷺ.

١٥. في الحديث دلالةٌ على العدول عن الرأي إذا تبيَّنَ أن غيرَه أفضلُ منه، فالنبي ﷺ أمرَها أن تذهبَ إلى أمِّ شريكٍ ثم عدلَ عن رأيِهِ فأمرَها أن تذهبَ إلى بيتِ عبدِ الله بنِ أمِّ مكتوم.

١٦. في الحديث إشارةٌ إلى أن من أساليبِ الدعوة جمعُ الناس ومناداتُهم لأمرٍ معيّن ولو في غيرِ وقتِ الصلاة.

١٧. وفيه أيضاً مشاركةُ النساء للرجال في سماع المواعظ والخطب وغيرها من الأمور الدعويّة التي تكون في المسجد، وأن المرأةَ مأمورةٌ بالاحتشامِ في ذلك والجلوسِ خلف صفوف الرجال.

١٨. فيه بيانُ موقفِ النساء في الصلاة فيقِفْنَ خلفَ الرجال، ولهذا قالت فاطمة: ممّا يلي الرجال.

١٩. دلَّ الحديثُ على جواز الضحكِ والتبسّمِ إن دعتْ الحاجةُ للخطيبِ والمتحدّث، وكذلك الحديثُ مع المخاطَبين والتحاورُ معهم وسؤالُهم.

٢٠. فرحُ المؤمن عند وقوع بعض الأحداث أو ما يُعرف بالمُكتشَفات لِكونِها موافقةً للوحي، ليس لعدم وثوقيّةِ الوحيِ عنده لكنّه انتقالٌ من علمِ اليقين إلى عينِ اليقين، كما فرِحَ النبي ﷺ بمُوافقةِ خبرِ تميمِ الداري بما أخبرَ به عن الدجال.

٢١. دلَّ الحديثُ على مشروعيّة فرحِ الداعيةِ إذا جاء من الأخبار أو من الأمور ما يصدِّق كلامَه الذي كان يحدِّث به، وأن ذلك من الفرح المحمود.

٢٢. في الحديث دلالةٌ على أسلوب التشويقِ باستعمالِ السؤال، فقد قال النبيُّ ﷺ أولَ ما قال: « **أتدرون لم جمعتكم ؟** » قالوا: الله ورسوله أعلم.

٢٣. دلَّ الحديثُ على إرجاع العلم إلى الله في حالِ عدمِ علمِ الشخص، لمّا سألَهم النبيُّ ﷺ: «**لِمَ جمعتكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم.

٢٤. في الحديث دلالةٌ على جوازِ الحلفِ بدون استحلاف، قال النبي ﷺ: «**إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة**».

٢٥. فيه قبولُ خبرِ الواحدِ إذا احتفّتْ به القرائنُ، فالنبيُّ ﷺ حدَّثَهم بحديثِ تميم لأنه وافَقَ حديثاً حدَّثَهم عن الدجّال.

٢٦. دلَّ الحديثُ على تحديث الفاضل عن المفضول فالنبي ﷺ حدَّثهم بما حدَّثه به تميم.

٢٧. في الحديث دليلٌ على أن الدجّالَ من بني آدم، قال تميم الداري: فإذا فيه أعظم إنسان.

٢٨. في الحديث دليلٌ على عظيمِ مكانةِ مكة المكرمة وطيبة الطيبة، وأنهما محفوظتان من الدجّال بحِفظِ الله.

٢٩. في الحديث إشارةٌ إلى بعض أشراط الساعة الصغرى كجفافِ طبريّة وانقطاعِ تمرِ بيسان، وإشارةٌ إلى شرطٍ من أشراط الساعة الكبرى وهو الدجال.

٣٠. قول الدابة: أنا الجسّاسة، مأخوذةٌ من التجسُّس، وهذا دليلٌ على أن الدجّالَ له بين يديْه ما يتجسَّسُ له الأخبارَ حتى يأتي وعدُ الله.

٣١. قوله في الحديث: «**فإذا فيه أعظم إنسان**» دلَّ على ضخامةِ جسمِ الدجّالِ من حيث الهيئة.

٣٢. قوله في الحديث عن نخل بيسان: يُوشِكُ أن لا يُثمِر، وعن بحيرةِ طبريّة يُوشِكُ أن يذهب ماؤها، دليلٌ على أن قربَ زمنِ الدجالِ ينتشرُ فيه القحطُ والفقرُ، وهذا من شؤمِ خروجه.

٣٣. قولُ الدجّالِ عن العرب لمّا أطاعوا النبي ﷺ: أما إن ذلك خيرٌ لهم هذا دليلٌ على أن كُفرَ الدجالِ كفرُ إباءٍ واستكبار، فهو يعلم أن طاعةَ النبيّ ﷺ خيرٌ ومع هذا يأبى.

٣٤. قوله: يُوشِكُ أن يُؤذَن لي، التعبيرُ بهذا اللفظِ دليلٌ على قُرْبِ خروجِهِ، ولهذا حذَّر منه النبي ﷺ.

٣٥. قوله في الحديث: فلا أتركُ قريةً إلا هبطتُها في أربعين ليلة دليلٌ على قوةِ انتشارِهِ وطوفانِهِ على الأرض، وهذا ممّا مكّنَ اللهُ له زيادةً لفتنتِهِ.

٣٦. في الحديث إشارةٌ إلى إمساكِ الخطيبِ بالعصا ونحوها، لقوله: طعنَ النبي ﷺ بمخصرتِهِ في المنبر، والمخصرةُ هي عصا كانت مع النبي ﷺ .

٣٧. قولُ النبي ﷺ: «**من قبل المشرق ما هو**»، هذه (ما) ليست نافية وإنما هي زائدة، ففيها إثبات أن الدجالَ في جهةِ المشرق، أيْ: الذي قبل المشرق.

٣٨. في الحديث تكرارُ الكلمة للإشادة بها، قال ﷺ: «**هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة**» إشادةً بالمدينة النبوية.

٣٩. في الحديث دلالةٌ على حُسنِ استماعِ المُربّي وإنصاتِهِ، فالنبيُّ ﷺ سمِعَ هذا الحديثَ بطُولِهِ من تميمٍ ثم حفِظَهُ وأدّاه.

***

الْقِصَّةُ الثَّامِنَةُ وَالْأَرْبَعُونَ:

إِبْرَاهِيمُ ﷺ وَهَاجَرُ وَإِسْمَاعِيلُ ﷺ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، حَتَّى بَلَغَ: يَشْكُرُونَ، وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ

تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا»، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهٍ، تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا»، قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي

أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ فَشَكَتْ إِلَيْهِ قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عليه السلام وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى،

فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ»، قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي ؏ وَمُرِيهِ يُثَبِّتُ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ قَالَ: وَتُعِينُنِي قَالَ: وَأُعِينُكَ قَالَ: فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَاهُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ فَجَعَلَ

إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(١) قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢)(٣).

الْفَوَائِدُ:

١. دلَّ الحديثُ على عظيمِ بلاء الخليل ﷺ حيث أُمِرَ أن يترك ذريتَهُ في مكانٍ لا يصلح للحياة وأن يفارقَهم إلى مكان آخر، وهذا من أعظمِ ما يكونُ من البلاءِ وذلك لأنه خليلُ الرحمن.

٢. مِن عزمِ الخليل ﷺ على إنفاذ أمر الله وسرعةِ تطبيقِهِ واستجابتِهِ له أنه جعلَ لا يحدِّثُ نفسَه في ذلك الأمر، ولا ينظرُ إلى زوجةٍ ولا إلى ولد، فكانت تحدِّثُهُ وكان لا يلتفتُ إليها.

٣. في الحديث معرفةُ هاجر بأمر زوجها، وأنه يعزم على تطبيقِ أمرِ اللهِ لا تأخذُه في ذلك لومةُ لائم، لمّا رأت أنه لا يلتفِتُ إليها وأنه

(١) سورة البقرة:١٢٧.

(٢) سورة البقرة:١٢٧.

(٣) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٦٤).

عازمٌ على ذلك عرفَتْ بفطنتِها فقالت: آلله أمرك بهذا ؟

٤. دلَّ الحديثُ على عظيمِ التوحيدِ واليقينِ في قلب هاجر ﷺ حيث سألتْ زوجَها لمّا تركَهم في وادٍ غيرِ ذي زرع: آلله أمرك بهذا ؟ قال: نعم، قالت: إذنْ لا يضيِّعُنا.

٥. مَن فعل ما أمرَه الله فلن يضيِّعَه الله ولو كان امرأةً أو طفلاً بوادٍ غيرِ ذي زرع، لمّا قالت هاجر آلله أمرك بهذا ؟ قال: نعم، قالت: فلن يضيِّعَنا الله، فأقرَّها إبراهيمُ على ذلك.

٦. الحديثُ يؤصِّلُ معنى التوكّل الشرعي، فإبراهيم ﷺ وضع عند زوجته جراباً فيه تمر وسقاءً فيه ماء، بذلَ ما يملِكُ من السببِ ثم تعلَّقَ قلبُهُ بالله، وهذا هو التوكّلُ الذي فعله إبراهيم.

٧. الحديث دليلٌ عظيمٌ على حفظ الله عز وجل لأوليائه وحمايتهم من المخاوف، وتأمينهم من الأخطار، وإدرار الرزق عليهم في المكان الذي ينقطعون فيه، وذلك رحمة منه عز وجل.

٨. دلَّ الحديثُ على عظيم رحمة الأم بأطفالها، وأنها ترحمُه أكثرَ وأكثرَ حين يلمّ به المرضُ أو يشتدّ به العطشُ، كانت هاجرُ لا تريدُ أن تنظرَ إلى ولدِها وهو عطشان.

٩. يحوّلُ الناجحون زوجاتِهم شريكاتِ حياتِهم إلى شريكاتِ نجاحٍ وعطاءٍ وتميّز، ويحوِّلون بيوتَهم إلى مؤسساتِ عطاءٍ ونجاحٍ واقتداء، وهكذا كان إبراهيم، وهكذا كانت هاجر عليهم وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

١٠. كلّما تمكَّنَ تعظيمُ الله عز وجل في قلب المؤمن ووصل إلى مرحلةِ اليقينِ ردَّدَ في كلِّ بلاءٍ يمرُّ به: إن اللهَ لن يضيِّعني.

١١. مهما تكالبتْ عليك الكروبُ وكثرتْ المشكلاتُ فتذكَّرَ أن لك ربّاً يُنقِذُكَ كما أنقذَ هاجر وإسماعيل، افعلْ فعلَ هاجر فقط: وجِّهْ وجهَك إلى الله وأبشر بما يسرُّكَ من الله.

١٢. قصةُ هاجر مع إسماعيل وعواطفها وتعريضها نفسِها للخطر من أجلِهِ يبيِّنُ فضلَ أمّهاتِنا علينا وعظيم حقّهنّ علينا.

١٣. رفعتْ هاجرُ طَرَف درعَها حتى تسعى بسرعةٍ ولا تتعثّر به، فدلَّ على أن لِباسَها كان ساتراً، وهذه سُنّة الله للأنثى، فلتكنْ قدوةُ كلِّ امرأةٍ النساءَ الصالحات.

١٤. من إكرام الله عز وجل لهاجر أن جعل ما أصابها سُنّةً للمسلمين، حيث كانت تجري بين الصفا والمروة، فجعل الله ذلك سُنّةً لكلّ مسلمٍ إلى آخرِ الزمان.

١٥. دلَّ الحديثُ على أن فرجَ الله يأتي في الوقت الذي يستنفِذُ الإنسانُ فيه طاقتَهُ وجُهدَهُ وعملَه، كانت هاجرُ ذهبتْ سبعَ مرّات ثم قالت لنفسها: صه، ثم قالت: لقد أسمعتَ إن كان عندك غواث، فإذا هي بالمَلَكِ عندها.

١٦. بين (نحن في ضيق وشدة) و (نحن بخير وسعة) يتبيّن أن الرّاقِين راقيةٌ قلوبُهم، راقيةٌ كلماتُهم، راقيةٌ ظنونُهم، راقيةٌ تعاملاتُهم، وعكسُهم على العكس من ذلك.

١٧. ممّا يميّز المُتميّزين وهو مهارةُ من مهارات التفكير: دقةُ الملاحظة، فالقوم عندما قالوا: إن هذا الطائرَ لَيدورُ على ماءٍ لَعهدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء، بيانٌ لدقّةِ الملاحظةِ التي يتميّز بها الأعرابُ.

١٨. دلَّ الحديثُ على أن اللهَ أراد خيراً بقبيلة جرهم، وأولُ خيرِهم تواضُعُهم، فقالوا لأم إسماعيل: أتأذنين لنا أن ننزلَ عندك ؟ فلم تحملْهم قوّتُهم ولا كثرتُهم على إكراهِها على الماء، فنفَعَهُم اللهُ بمصاهرةِ إسماعيل وبتعلُّمِ الكتاب منه.

١٩. **«لا تخافوا الضيعة فإنَّ لله هاهنا بيتًا»** هذا الوعدُ الذي أطلَقَهُ هو وعدٌ ربانيٌّ ليس لهاجر وابنها فحسب، وإنما هو وعدٌ لأهلِ مكة إلى قيام الساعة.

٢٠. في قوله: فتعلَّمَ الغلامُ العربية، يدلُّ على أن العربيّةَ ليست لُغتَهُ ولغةَ أهلِهِ الأصليّة، وإنما اكتسبَها من جوارِ جرهم.

٢١. دلَّ الحديثُ على أن مَن أحسنَ الظنَّ بالله رزَقَهُ اللهُ على مقدارِ حُسْنِ ظنِّه، لَمّا قالت هاجر: إذَنْ لا يضيّعنا، قال لها المَلَكُ الذي كلَّمَها: لا تخافوا الضّيْعةَ، فجاءت بشارةُ المَلَكِ على قدْرِ حُسْنِ ظنِّها بالله.

٢٢. في الحديث بشارةٌ لَمَن كان قريباً من بيت الله الحرام، وكان يرعاه بأن اللهَ سبحانه وتعالى لا يضيِّعه، قال المَلَكُ: إن هاهنا بيتاً يبنيهِ هذا الغلامُ وأبوه وإن الله لا يضيّع أهله.

٢٣. شبَّه إبراهيمُ ﷺ الزوجةَ بعتبَةِ البيت، وعتبَةُ البيتِ فيها عدّة أمور:

- عتبةُ البيتِ هي التي تحمي البيتَ من الحشرات والدوابّ، وكذلك المرأة الصالحة هي التي تصون بيتَها وتحفظُهُ عن الحرام وعمّا يؤذيه ويفسِدُه.

- ثانياً: على قدْرِ لِينِ عتبَةِ البيت ودنوّها تكون سهولةُ دخولِ الإنسان إلى بيته، وكذلك المرأةُ كلّما كانت صالحةً ليّنةً متواضعةً لزوجِها سارت حياتُها بخير وسعادة.

٢٤. قوله: (غيِّرْ عتبَةَ بابك) فيه أن الحياةَ قرارٌ والنجاحَ قرارٌ والنجاةَ من الفشل قرارٌ، ولذلك: اتخِذْ القرارَ المناسبَ في الوقتِ المناسبِ ولا تتردّد، يقول هيربرت سيمون عالم الإدارة: (اتخاذُ القرار قلبُ العمليّة الإدارية) بل إن اتخاذَ القرارِ هو قلبُ الحياةِ السويّة.

٢٥. في الحديث جوازُ إنفاقِ المرأةِ من طعامِ زوجِها بغيرِ إذنه، قالت امرأة إسماعيل لإبراهيم عليه السلام: ألا تنزِلُ فتَطعَمُ وتشربُ ؟

٢٦. دلَّ الحديثُ على أن القناعةَ منزلةٌ من منازل أعمال القلوب لا تتأثّرْ بظروف الحياة، في المرة الأولى والثانية كان إسماعيل يصيدُ لأهله، وفي المرة الأولى والثانية كان طعامُ أهلِهِ اللحم وزمزم، وفي المرة الأولى والثانية كان بيتُهُ هو بيته، إنما الذي تغيَّرَ هو أن الأولى كانت جاحدةً، وزوجته الثانية كانت حامدةً، فرزقَها اللهُ القناعةَ وثبّتها الله.

٢٧. زوجة إسماعيل الأولى لم تدعُ إبراهيم عليه السلام إلى طعامٍ بينما دعتْه الشاكرةُ القانعةُ، وهذا يدلُّ على أن مكارمَ الأخلاقِ والصفاتِ الحميدة تتقارَبُ وتجتمعُ في المحلّ الصالح.

٢٨. في الحديث إشارةٌ إلى مشروعيّة الدعاءِ لَمن صنعَ لك معروفاً، ومنه الدعاء بالبركة لَمن أطعمكَ وسقاكَ أو دعاكَ إليهما، كما

صنع إبراهيم ﷺ مع زوجة إسماعيل الثانية حينما دعته للطعام والشراب.

٢٩. أيُّ بيتٍ مبارك هذا الذي جعل اللهُ أعمالَهم مناسكَ لركنٍ من أركان الإسلام وجعلَهم قدوةً للعاملين؟ وهذه هي بركةُ الله إذا تنزّلتْ، وكرمه إذا أعطى.

٣٠. من أعظم صور بر الوالدين أن يعينَ الابنُ أباه على طاعة الله، لمّا قال إبراهيمُ لابنه إسماعيل ﷺ: إن اللهَ أمرني بأمرٍ بادَرَهُ إسماعيلُ قائلاً: اصنعْ ما أمرَكَ ربُّك، قبل أن يسألَهُ عن ماهيّةِ العمل.

٣١. دلَّ الحديثُ على أن الرجلَ هو الذي كلَّفه اللهُ بتحصيل رزق مَن يعوله من أهله، قالت زوجة إسماعيل الأولى: ذهب إسماعيل يصيد لنا، وقالت زوجة إسماعيل الثانية: ذهب إسماعيل يصيد لنا، وعلى هذا فطرةُ الناس، وعلى هذا حنيفيّةُ إبراهيم.

٣٢. قولُهُ في الحديث: فقاما وصنَعا كما يصنع الوالدُ للولدِ والولدُ للوالدِ دليلٌ على بشريّة الأنبياء، وعلى عاطفةِ الأبوّة والبنوّة، إلا أن الأنبياءَ لا يقدِّمون على محبةِ الله شيئاً لامتلاءِ قلوبهم من محبة الله، فإبراهيم ﷺ لم يقابلْ ابنَه إسماعيلَ في المرة الأولى والثانية، وإنما رجعَ لأن اللهَ أمره بذلك، وهذا غايةُ مراتبِ العبودية أن لا يقدِّمَ الإنسانُ على محبة الله عاطفتَه.

٣٣. دلَّ الحديثُ على فضل الدعاء وعظيم أثره حيث به تحوَّل هذا الوادي غيرُ ذي الزرع إلى أعظم مكانٍ صالحٍ للحياة، وبه حياة الناس في دينهم ودنياهم، وذلك لأن إبراهيمَ استقبلَ بوجهِهِ البيتَ ثم دعا.

٣٤. الحديث دليلٌ للقائلين بأن البيتَ كان قبل إبراهيم وأنه بُنِيَ قبل ذلك، وأن إبراهيمَ كان هو أولَ مَن رفع قواعدَه، وذلك لأن إبراهيمَ استقبلَ بوجهِهِ البيتَ في هذا الحديث ثم دعا.

٣٥. دلَّ الحديثُ على مشروعيّةِ الدعاء بقبول العمل أثناء العمل، كما أن الدعاء بعد العمل مشروعٌ أيضاً، فإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾[1] وهما يبنِيان الكعبة.

٣٦. إن من أبطل الباطل تلك الكلمة التي نسمعُها وهي الأديان الإبراهيميّة التي يريدون بها خلطَ الحق بالباطل، فالدينُ دينُ الله الذي أتى به إبراهيم الخليل عليه السلام، وهذا البيت الذي بناه بيده، وها هو محمدٌ ﷺ يقصُّ قصةَ إبراهيم لأمته، فلا نجاةَ إلا باتّباع الحقِّ الذي أتى به الأنبياءُ من ربّهم.

---

(١) سورة البقرة:١٢٧.

٣٧. صور برِّ إسماعيل بأبيه إبراهيم عليهما السلام في الحديث كثيرة، منها: أن إسماعيلَ هو الذي كان يأتي بالحجارة وإبراهيمَ هو الذي يبني، فأخذَ إسماعيلُ أشقَّ العمليْن.

٣٨. قال الشيخ ابن باز رحمه الله عند ذكر رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت: (عملٌ مخصوص من رجلٍ مخصوصٍ في مكانٍ مخصوص ومع ذلك يردّدون: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾[1] خشيةَ أن لا يُقبَلَ منهم).

***

(١) سورة البقرة:١٢٧.

الْقِصَّةُ التَّاسِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ:

أَوَّلُ لِقَاءٍ بَيْنَ جِبْرِيلَ عليه السلام وَالنَّبِيِّ ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾(١)»، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ

---

(١) سورة العلق:١-٣.

خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟!» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ(١).

الْفَوَائِدُ:

١. من الأمور المُعينة على تحمّلِ المهامّ العظيمة والقُدرة عليها: التمهيدُ لها بشيءٍ يسيرٍ من جنسِها، فكانت بدايةُ الوحي الرؤيا

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣)، ومسلم في صحيحه برقم (١٦٠).

الصادقة تمهيداً لنزول جبريل عليه السلام بالوحي، وهذا من لُطفِ الله بنبيّه ﷺ.

٢. في الحديث حاجةُ الداعيةِ للخَلوةِ بالنفس بعيداً عن المُشغِلات والتعبّد خالياً بربّه، وتفكّره في أمره، مستعينًا به على القيام بأمر الدعوة.

٣. أول ما نزل من الوحي: (اقرأ) على نبيٍّ أمّيٍّ وأمّةٍ أمّيّةٍ، ليدلَّ على أهميّةِ العلم ومكانته في الإسلام، وهذا ما ظهر أثرُهُ في نشأةِ العلومِ والمعارفِ بعد نزول الوحيِ على هذه الأمّةِ الأمّيّة.

٤. في الحديث دليلٌ أن الزوجةَ العاقلةَ الصالحةَ من أعظم مُعيناتِ الداعيةِ على دعوته، وتثبيته والوقوف معه في الأزمات.

٥. في الحديث أن واصلَ الرحمِ ومُعطيَ المعدومِ ومكرمَ الضيفِ لا يخزيه الله أبدًا، فهل جزاءُ الإحسان إلا الإحسان ؟

٦. في الحديث فضلُ أمّنا خديجة رضي الله عنها حيث ثبّتَتْ النبيَّ ﷺ بأن الله لا يُخزيهِ أبدًا، وانطلَقَتْ به لَمَن يُحسِنُ هذا الأمر، واختارت ورقة بن نوفل لمعرفته بالنبوات.

٧. أولُ أسماءِ الله التي أُنزلت على نبيّه ﷺ اسم الربّ واسم الأكرم، وأولُ أفعالِ الله التي أُنزلت على نبيّه فعلَ الخَلْقِ، وكلُّها تدلُّ على عظمةِ الله وعلى كرمِهِ.

٨. أولُ اسمِ أُنزلَ على النبيّ ﷺ من أسماء الله اسم الربّ واسم الأكرم، وهذان اسمان لهما أثرٌ في طمأنةِ النبيّ ﷺ في بداية الوحي.

٩. أول فعل أُنزلَ على النبيّ ﷺ من أفعال الله هو فعل الخلق (خَلَق) وهو اسمٌ يبعث العظمةَ في قلب النبي ﷺ حتى ينطلقَ بالدعوةِ لهذا الذي خلقه.

١٠. فيه رجاحةُ عقلِ أمّنا خديجة رضي الله عنها لمّا قال النبي ﷺ: «زملوني زملوني» وكان يرتجف ﷺ لم تسألْهُ عن السبب حتى بادَرَها هو وأخبرَها الخبر.

١١. في الحديث دلالةٌ على ثباتِ السُّنَنِ الكونيّة، ولهذا قال ورقة بن نوفل: إنه لم يأتِ أحدٌ بمثل ما أتيْتَ به إلا عُودِيَ.

١٢. في الحديث إشارةٌ إلى أن الإنسانَ عليه أن ينويَ نيّةَ الخير، قال ورقة بن نوفل: وإن يدركني يومُك أنصرك نصراً مؤزّراً، فلم يلبث أن توفي.

١٣. في الحديث دلالةٌ على أهميّةِ فئةِ الشباب في القيام بدين الله، قال ورقة: يا ليتني فيها جذعاً، أي: شابًّا قويًّا.

***

الْقِصَّةُ الْخَمْسُونَ:

رُؤْيَــــا رَآهَــــا النَّبِيُّ ﷺ

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَهَدْهَدُ الْحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ الله مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: فَيَشُقُّ قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى،

قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ الله مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ قَالَ: فَأَحْسَبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انطَلِقِ انْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انطَلِقِ انْطَلِقْ، قَالَ: فَانطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقِ انطَلِقْ، فَانطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ،

لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ، قَالَ: قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا، قَالَ: فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، قَالَ: قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ، قَالَ: وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قَالَ: فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ، قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ،

فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ»، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ»(١).

الْفَوَائِدُ:

١. في الحديث إشارةٌ إلى أهميّةِ اهتمامِ المُربّي بأحوال المُتربّين والمَدعوّين ومعرفة ما يُقلِقهم ويهمُّهم.

٢. في الحديث مشروعيّةُ السؤالِ عن الرؤيا، والحديثُ بها أمام الناس.

٣. دلَّ الحديثُ على قول (سبحان الله) عند رؤيةِ أمرٍ يتعجّب منه الإنسان، لمّا رأى النبي ﷺ ما رأى كان يقول: سبحان الله.

٤. في الحديث دلالةٌ على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى، فالرجل الذي يثلغ رأسه أي: يُشَقُّ رأسه، والذي يشرشر شدقه أي:

(١) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٠٤٧)، وأحمد في مسنده برقم (٢٠٤١١).

يُشَقُّ فمه، فإن الله يُعيدُهُ كما كان ثم يعذِّبُهُ مرّةً أخرى.

٥. في الحديث إشارةٌ إلى علوّ منزلِ النبيّ ﷺ في جنةِ عدن، ولهذا قال: «سما بصري» أي: صعد وارتفع بصره لعلوّ بيته.

٦. في الحديث الإشادةُ بإبراهيم عليه السلام، ولهذا أطالَ اللهُ عنقَهُ حتى قال النبي ﷺ: «**لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء**».

٧. دلَّ الحديثُ على أن الجنةَ عاليةٌ وكلَّ ما فيها عالٍ، فهي علوٌّ في علوّ، قال في الحديث: « **فانطلقنا حتى أتينا دوحة، ثم قالا لي: ارق، فرقيت**».

٨. لعلَّ من الحكمة أن تكون صورةُ مَن أخذَ القرآنَ وتركَه ونامَ عن الصلاة في الرؤيا صورةَ مَن يُشقُّ رأسُهُ بحجَر لكونِهِ - والله أعلم - استكثَرَ من حُجَجِ الله عليه، فهذه الحجارةُ هي الحُجَجُ التي يحملها، فتكون وبالاً عليه يوم القيامة.

٩. في الحديث الترهيبُ من أخذِ القرآن ثم رفضِهِ عن طريقِ تركِ العملِ به، ولهذا قرنَ بين رفضِ القرآن والنومِ عن الصلاة المكتوبة.

١٠. دلَّ الحديثُ بمفهومه على أنَّ مَن أخذ القرآن هبَّ إلى العملِ فيترك النومَ ويذهب إلى الصلاة المفروضة.

١١. دلَّ الحديثُ على خطورةِ شأن الكذب، خاصةً إذا كان يبلغ

الآفاق، ومع انتشارِ هذه الوسائل فإن صورةً من الحديث يشملُها ذلك، وذلك أن يكذِبَ الإنسانُ بإحدى هذه الوسائل بخبرٍ من الأخبار فينتشِرُ في الآفاق.

١٢. لعلَّ من الحكمةِ أن تكونَ صورةُ الكذاب الذي تبلغ كذبتُهُ الآفاقَ مثلَ صورةِ مَن تُشَقُّ جوارحُهُ بهذا الشكل البشع لكونِهِ - والله أعلم - قال: رأيتَ ولم يرَ، وسمعتُ ولم يسمع، فقال الكذبةَ بفِيهِ ولسانِهِ وشفتيْه، فاستحقّتْ هذه الجوارحُ أن تكونَ هي محلَّ العقوبة.

١٣. لعلَّ من حِكمة كونِ صورةِ عقوبةِ الزناةِ والزواني الحرْقَ في التنّور وهُم عراةٌ لكونهم - والله أعلم - كشَفوا عوراتِهم وهتكوا سترَهم وتلذَّذَتْ جلودُهم بالحرام، فاستحقّوا أن تكون عقوبتُهم في محلِّ مُتعتِهم المُحرّمة.

١٤. لعلَّ من حكمة أن تكونَ صورةُ المُرابي في الرؤيا بصورةِ مَن يسبحُ بنهرٍ كالدم النجس ويحمل في فيهِ الحجارةَ لكونِهِ - والله أعلم - انغمسَ في دنياه بالمالِ الحرامِ الخبيث، واستكثرَ منه بلا شبعٍ ولا اكتفاء، فاستحقَّ أن تكون صورةُ عذابِهِ من جنسِ عملِهِ.

١٥. في الحديث دلالةٌ على عدل الله سبحانه وتعالى، فيجازي

كلَّ إنسانٍ بعمله حتى على مستوى الفرد، فالذين خلَطوا عملاً صالحاً وآخَر سيئاً جزء منهم قبيحٌ وجزءٌ منهم حسَنٌ.

١٦. دلَّ الحديثُ على أن جميعَ الذنوب المذكورة في الحديث هي من كبائر الذنوب لاقتران الوعيد بها، ومُعتقدُ أهل السُّنّة والجماعة أن أهلَ الكبائر التي هي دون الشرك ومات أهلُها عليها دون توبة فهي تحتَ مشيئةِ الله فإن شاء الله عذَّبهم بها، وإن شاء غفر الله لهم، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١)، وقال في هذا الحديث: «**تجاوز الله عنهم**».

١٧. في الحديث أن الجزاءَ من جنس العمل، فنوعُ العذاب مشابِهٌ لحالِ الإنسان على الذنب في الغالب، فالزناة والزواني يعذَّبون في تنّورٍ من النار وهُم عُراةٌ، وآكلُ الربا يوضَع الحجرُ في فيه، والكذابُ يُقطَعُ شدقُهُ إلى قَفاه.

١٨. في الحديث أهميةُ الوعظ والتذكير بعقوبة الذنوب ومآلاتُها في الآخرة.

١٩. في الحديث مادةٌ مُهمّةٌ لُمعبّري الرؤى فهي رؤيا من الوحي وعبَّرَها الوحيُ كذلك.

---

(١) سورة النساء:٤٨.

٢٠. في الحديث دلالةٌ على عناية الله بنبيه ﷺ وكريم منزلته عليه، ولهذا ابتدأت الرؤيا بما يُخِيفُهُ، وخُتمَتْ الرؤيا بما يَسُرُّهُ ليكون أبقى في ذهنه.

٢١. الحديث دليلٌ لأهل السُّنةِ والجماعةِ على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان.

٢٢. دلَّ الحديثُ على أن كلَّ طفلٍ مات فإنه مع إبراهيم عليه السلام، وذلك لأن إبراهيمَ عليه السلام أتى بالفطرة.

٢٣. استدلَّ بهذا الحديث مَن قال من أهل العلم بأن أولادَ المشركين الذين ماتوا ولم يبلغوا الحلم أنهم في الجنة استدلالاً بهذه الرواية: قالوا: يا رسول الله: وأولاد المشركين ؟ قال: «**وأولاد المشركين**».

٢٤. في الحديث دلالةٌ على سعةِ رحمةِ الله، فالذين خلَطوا عملاً صالحاً وآخَرَ سيئاً أُمِروا أن يقَعوا في نهرٍ فذهب ذلك السوءُ عنهم، وهذا دليلُ رحمةِ الله بهم.

***

الْفِهْرِسُ

***